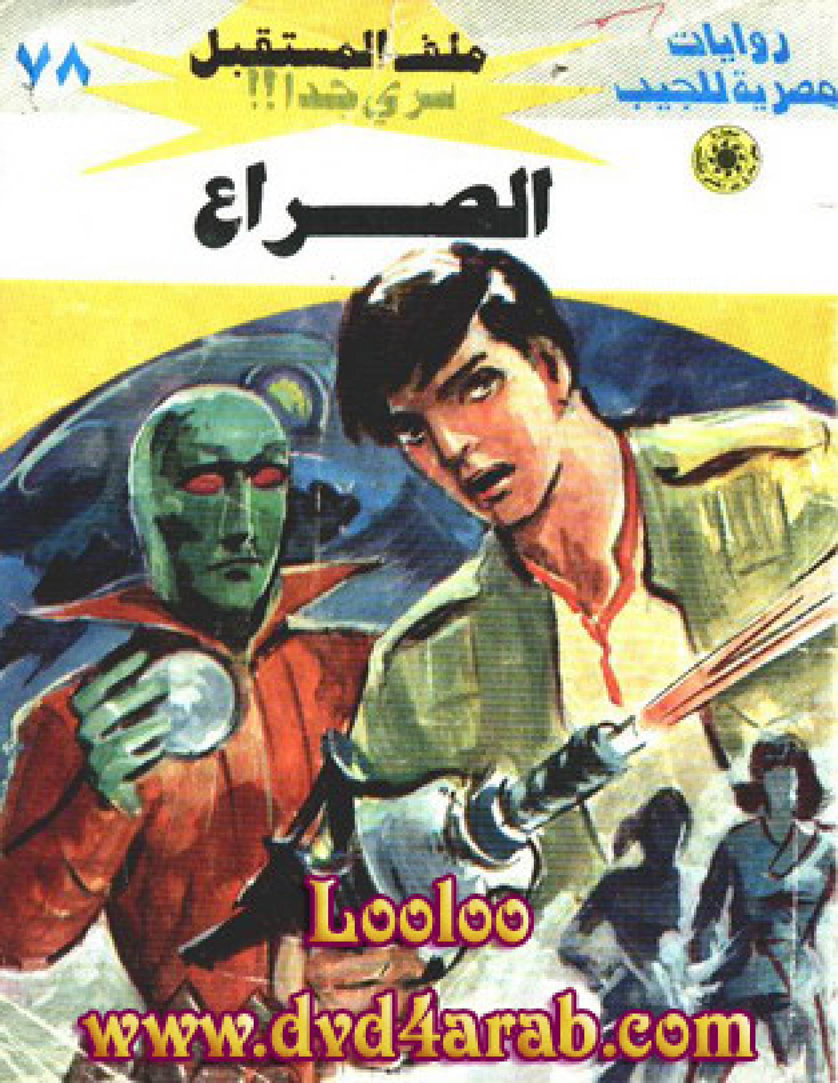


٧٨
ملف المستقبل
سري جدا!!
روايات
مصرية للجيب
الصراع
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف

د. نبيل فاروق

٧٨

الصراع

- ما مصير فريق المقاومة ، الذى أنشأه (نور) ؟
- هل ستحدث مواجهة أخرى مع الغزاة ؟
- من سينتصر هذه المرة ؟.. ومن ذلك الزائر الفضائى ، الذى جاء ليشارك فى (الصراع) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وواصل قتالك مع (نور) ورفاقه ، من أجل الأرض .



الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : التحدى



١ ـ الهارب ..

كل شىء فى القاعة الإمبراطورية ينذر بعاصفة .. بانفجار بركان ..

نيران الغضب تتأجج فى عينى الإمبراطور (آغرو) ..

حتى الكون يطلّ من ملامح قائد الجيوش (كوماد) ..

الأسف يسيل من خلايا الحكيم (جلاكس) ..

والصّمت يسود ..

وفجأة ، حطّم الإمبراطور جدار الصمت ، بضربة عنيفة ، هوَت بها قبضته على مسند عرشه البلّورى ، وتردّد صداها فى القاعة الإمبراطورية ، داخل مركز قيادة الاحتلال ، فى صحراء (مصر) الغربية ، وهو يهتف :

ـ أغبياء .

انعقد حاجبا (كوماد) فى شِدّة ، وهو يقول :

ـ لقد حدث كل شىء فى سرعة يا مولاى ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى غضب هادر :

ـ كل شىء ؟!.. المفروض أنك كنت تستعد لكل

المفاجآت يا قائد جيوش الاحتلال .. المفترض أنك متأهب
لصد أية محاولة .
هتف (كوماد) معترضًا :
— ولكننى لم أتوقع أبدًا أنهم سيمتلكون كل تلك الوسائل
التكنولوجية ، التى حظرنا استخدامها على كوكب الأرض ،
وأنهم .....
قاطعه الإمبراطور مرّة أخرى فى ثورة :
— كان ينبغى أن تتوقع كل شىء .. إنهم معارضون
لحكمنا ، ومن الطبيعى أن يملكوا كل ما منعناه ، ما دام
سيمنحهم مزيدًا من القوّة فى مواجهتنا .
تمتم (كوماد) فى مرارة :
— نعم .. كان ينبغى أن أتوقع هذا .
ثم اعتدل مستطردًا فى حِدّة :
— ولكننا حصلنا على بعض المكاسب يا مولاى .
عاد الإمبراطور يدق مسند عرشه بقبضته ، وهو يهتف
محنقًا :
— أيّة مكاسب يا (كوماد) ؟.. لقد نجح الرائد الأرضىّ
فى استعادة والديه ، وبرز أمام العالم كله كبطل أسطورى ،

وحطّم ستار الخوف ، الذى منع الأرضيّين من التصدّى لنا ،
منذ نجاحنا فى احتلال كوكبهم ، وحصل مع رجاله على واحدة
من خوذاتنا ، تؤهّله لفهم لغتنا ، كما نفهم لغته ، وأثبت للجميع
أنه من الممكن خداعنا ، ثم فرّ بعد كل هذا من جيوشنا .. فأىّ
ربح جنيناه من كل هذا ؟
تضاعفت المرارة فى حلق (كوماد) ، وهو يغمغم فى
اعتراض باهت :
— لقد أسرنا عددًا من رفاقه يا مولاى ، و .....
صرخ الإمبراطور :
— وماذا ؟
ثم هبَّ من عرشه مستطردًا فى ثورة :
— اسمع يا (كوماد) .. إننى أريد هذا الأرضىّ .. أريده
بأى ثمن .. ابحث عنه .. اقلب الأرض كلها لو استطعت ،
ولكن عُد به إلىّ ..
وبرقت عيناه ببريق دموىّ مخيف ، وهو يضيف فى حزم :
— أو بجثته .
اعتدل (كوماد) ، وانتصبت قامته ، وهو يقول فى حِدّة :
— كما تأمر يا مولاى .

ودار على عقبيه في صرامة ، ثم غادر القاعة في خطوات واسعة قوية ، وهنا التفت الحكيم (جلاكس) إلى الإمبراطور ، مغمغمًا :

— مولاي .. إنك تبدو غاضبًا في شدة .

صاح به الإمبراطور في حنق :

— ألا تدرك الأمر أيها العجوز ؟.. لقد فقدنا الرائد الأرضي .

تأمله العجوز في حيرة ، وهو يقول :

— كم يدهشني موقفك من هذا الرائد الأرضي يا مولاي !! إنك تقاتله في شراسة ، كما لو أنك تسعى إلى ثأر شخصي .

لوح الإمبراطور بذراعه ، قائلًا في حدة :

— أي ثأر شخصي أيها العجوز ؟.. ألم تر ما فعله بنا ؟

أجابه العجوز في خبث :

— لقد فعل هذا اليوم فحسب يا مولاي ، ولكنك تبغضه منذ حطت سفننا الفضائية على كوكبه .

انعقد حاجبا الإمبراطور في حدة ، وهو يقول محتدًا :

— لدي أسبابي .

ثم أضاف في شراسة ، لم ير الحكيم لها مثيلًا في إمبراطوره من قبل :

— ولابد أن يموت هذا الأرضي .. لابد .

* * *

لم يبدأ الأمر على هذا النحو ..

ولا على هذه الصورة ..

لقد بدأ منذ عام كامل ..

وكانت البداية مثيرة للغاية ..

كانت عبارة عن سرب من النيازك ، شق الفضاء بسرعة هائلة ، في طريقه إلى كوكب الأرض ، مثيرًا موجة هائلة من الذعر في كوكبنا ..

ثم تحول الذعر إلى رعب وهلع ، عندما هبطت النيازك في هدوء على سطح الكوكب ، وأحاطت بكل منها قبة وردية ، لم تلبث أن تحولت إلى اللون الأزرق ، عندما بدأ الهجوم ..

وكانت الكارثة ..

مئات الألوف من مقاتلات فضائية مجهولة ومخيفة ، راحت تهاجم الأرض في شراسة ما لها من مثيل ..

كل أوجه الحضارة دمرت ..

كل الفنون والثقافة ..

كل الحرّيات والعلوم ..
وانهارت الأرض ..
واستسلمت ..
ووسط هذه المعمعة راح (نور) يبحث عن رفاقه ، ليجمع شمل فريقه ..
وضاع (رمزى) والدكتور (حجازى) ..
وتحطّم مقر قيادة المخابرات العلمية ..
كل شيء تحطّم وانهار وضاع ..
وبقي (نور) وزوجته وابنته ، وزميله (محمود) ، داخل مقر سِرّيّ ، أعدّته المخابرات العلمية يومًا ، ومعهم آخر علامات التكنولوجيا والحضارة على الأرض ، وحقيبة تحوى عدة مكعبات كمبيوترية ، تضمّ كافة علوم وحضارات وتاريخ وفنون الأرض ..
وكانت هذه الحقيبة هي الأمل الأخير ..
الأمل في استعادة التاريخ والحضارة يومًا ..
والأمل في تجاوز ذلك الاحتلال ..
واختفى (نور) وفريقه لعام كامل ، اتخذوا فيه كل أهبتهم لبدء مرحلة المقاومة والصراع ..

ومع مرور ذلك العام ، انهارت الأرض تمامًا ..
أصبح العلم — مجرّد العلم — محظورًا ممنوعًا ..
تراجعت الحضارة عشرات القرون ..
ساد الخوف والجهل ..
أصبح الناس في رُعب دائم ..
ولم يكفّ إمبراطور كوكب الغزاة عن البحث عن (نور) أبدًا ..
انتشرت صُوَره في كل مكان ..
أصبح عدوّ غزاة (جلوربال) رقم واحد ..
ومع عدم ظهوره ، تحوّل (نور) إلى أسطورة خلاص ..
وفي محاولة لإجباره على الظهور ، أعلن (كوماد) ، قائد جيوش الاحتلال ، عزمه على التخلّص من والدى (نور) ، وإعدامهما علنًا ..
وهنا قرّر (نور) أن يبدأ عصر المقاومة ..
وظهر ..
ظهر في مشهد أسطوريّ ، خلَبَ ألباب الجميع من أهل الأرض ، وأثار غيظ وسُخط وحنق الآلاف من جيوش (جلوربال) ، ونجح في الوقت نفسه في إنقاذ والديه بخطّة بارعة ..

وهنا ثارت ثائرة أهل الأرض المحتلّة أرضهم ..
وفى ذلك اليوم بدأت المقاومة ..
وفى ذلك اليوم بدأ الصراع(*) ..

* * *

« خطأ » ..
قالها (نور) فى مرارة ..
فى ألم ..
قالها وعيناه تبكيان بلا دموع ..
وعندما استطرد ، تقاطرت الدموع مع كلماته :
ــ لماذا أعادونى أنا ؟.. كان ينبغى أن أبقى .. إنها معركتى .
ربّتت (نشوى) على كتفه ، قائلة :
ــ على العكس يا أبى .. كان ينبغى أن تعود أنت .. ليس لأنك أبى .. وليس لأننى أحبك .. بل لأنك (نور) .. الرمز ، والقائد ، والأسطورة .
لوّح بذراعه فى ألم ومرارة ، وهو يهتف :
ــ أى رمز وأى أسطورة ؟.. الزعيم ينبغى أن يتصدّر

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثانى (الاحتلال) ، و (المقاومة) .. المغامرتين رقم ٧٦ و ٧٧

رجاله ، وأن يتقدّمهم فى المعركة ، لا أن ينسحب وحده ، ويتركهم لمصير مجهول .
وترقرقت دموع الألم فى عينيه ، وهو يتابع :
ــ لقد فقدنا الجميع : (رمزى) ، و (محمود) ، والدكتور (حجازى) .. فقدنا الفريق كله .
هتفت (سلوى) :
ــ وربحنا الأرض كلها يا (نور) .
هتف فى مرارة :
ــ ربحناها ؟.. كيف يا (سلوى) ؟.. لقد انهزمنا فى معركتنا .
أجابه صوت قوى :
ــ بل كان لنا النصر الساحق أيها القائد .
التفت (نور) يتطلّع إلى الشاب القوى ، الذى تلوح فى وجهه سِمَات الفارس ، والذى استطرد فى حزم :
ــ لقد عرف العالم الآن أننا هنا ، وأننا سنقاوم ، ولن نستسلم ، حتى ولو كانت حياتنا هى الثمن .
أعادت كلماته الحماس إلى قلب (نور) بغتة ، فاعتدلت قامته ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول فى قوّة :

— صدقت يا .....

بتر عبارته ، منتظرًا أن يقدم الشاب نفسه ، وأدرك الشاب ذلك ، فأجاب وهو يتخذ وقفة عسكرية صارمة :

— النقيب طيار (فارس) أيها القائد .. من الطيران الملكى السعودى .

سأله (نور) فى اهتمام :

— كيف وصلت إلى (مصر) يا (فارس) ؟

أجابه (فارس) :

— كنت ضمن برنامج تبادل الخبرات الحربية ، فى الشرق الأوسط أيها القائد .

تأمل (نور) فى وجهه النحيل ، وشاربه الرفيع ، وشعره الفاحم ، وقال :

— رائع يا (فارس) .. سيفيدنا هذا كثيرًا .

ابتسم (فارس) ، وهو يقول :

— معذرة أيها القائد .. لقد سمحت لنفسى بحصر الرجال ، الذين تم إنقاذهم ، وإحضارهم إلى هنا ، ولم أجد بينهم من يملك خبرة حربية سابقة .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وقال :

— هذا طبيعىّ ، فليس كل من يحيا هنا مقاتلًا .

ثم امتزج الحزم بالصرامة فى كلماته ، وهو يستطرد :

— ولكن هذا لا يعنى الاستسلام .. صحيح أننا فقدنا عددًا من الشهداء .. ولكن هكذا تمضى الحروب .. وسنواصل المعركة ، ما دام فى أجسادنا عِرق ينبض بالحياة .

تهلَّلت أسارير (سلوى) ، وهى تهتف :

— هكذا تكون المعركة يا (نور) .

سالت دمعة حزن من عينى (نشوى) ، وهى تغمغم :

— نعم يا أبى .. هذه شريعة الحروب .. أن نفقد من نحب ..

ضمَّتها أمّها إلى صدرها فى حنان وإشفاق ، وربَّتت على رأسها فى تعاطف ، وهى تغمغم :

— لا أحد يدرى يا بنيَّتى .. ربما ما زال (رمزى) سالمًا ، و .....

قاطعها بغتة صوت (نور) ، وهو يقول فى حزم :

— سنضرب ضربة ثانية .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وارتجف صوت (مشيرة محفوظ) ، وهو تغمغم :

— ضربة ثانية ؟

لم تكن قد امتصت صدمة وهلع الضربة الأولى ، التي انتهت منذ ساعات ، وكان من العسير عليها أن تتصوَّر صدمة ثانية ،

أمَّا والد (نور) ، فقد هتف في حماس :

ــ نعم يا (نور) .. سنضرب ضربة ثانية .

وسأله (فارس) في لهفة :

ــ متى ؟!

أسرع أحد الرجال يقول :

ــ أرى أن نستعد لشنّ الهجوم التالي خلال هذا الأسبوع ، و .....

قاطعه (نور) :

ــ بل خلال الساعات القادمة .

هتفت (سلوى) في ذهول :

ــ ماذا ؟.. ولكن هذا مستحيل يا (نور) !!

ابتسم وهو يجيب في حزم :

ــ هم أيضًا سيتصوَّرون ذلك ؛ لذا فستكون ضربتنا مفاجئة .

صاحت (مشيرة) في توتّر :

ــ هذا مستحيل أيها الرائد .. استمع إلى زوجتك .. لن يمكننا أن نهاجم هؤلاء الغزاة في الصباح ، و .....

قاطعها في حزم :

ــ لن ننتظر إلى الصباح .

وضمَّ قبضته ، وهو يرفعها إلى وجهه ، مستطردًا :

ــ سنضرب ضربتنا الثانية الآن ..

وارتفعت قبضته عاليًا ، وهو يهتف :

ــ فليبدأ الصراع ..

* * *



٢ ـ الصراع ..

مِنْ أطراف الكَوْنِ جاء ..

من الجانب الآخر للفضاء أتى ..

هو أيضًا كان يقصد أرضنا ..

هو أيضًا جاء من أجلنا ..

جاء وحده ..

هو مقاتل لا يُشَقُّ له غبار ..

لم يكن عدوًا ..

ولم يكن أرضيًا ..

ولكنه جاء ..

وعندما عَبَرت سفينته الفضائية الصغيرة حدود مجرَّتنا ، أحاطها بغلاف من قوى غير معروفة لنا ، حجبتها عن الأقمار الراصدة ، التى وضعها المحتلون فى مدار الأرض ، وعن تلك السفينة العملاقة ، المعروفة باسم (الرُّعب الفضائى) ، والتى ترصد كل شاردة وواردة ، وكل ظاهرة غير طبيعية على سطح الأرض ..

وداخل هذا الغلاف هبط على كوكبنا ، وما إن استقرَّت سفينته الصغيرة فى تلك البقعة ، التى انتقاها مسبقًا ، حتى أحاطها بغلاف آخر ، وغادرها مغمغمًا بلغة كوكبه :

ـ اختلفت الأرض كثيرًا عما تركتها عليه ، فى زيارتى السابقة .

صمت لحظة .. ثم أردف فى ضيق :

ـ صارت أكثر تخلُّفًا .

وضغط زرًّا فى حزامه ، وهو يستطرد :

ـ ولكننى اليوم لن أقاتل الأرضيِّين ، بل سأسعى للبحث عن ذلك الرجل ، الذى أظنه سيحسم الصراع .

وبدأ سيره ، متابعًا فى هدوء :

ـ لو أنه مايزال على قيد الحياة ..

* * *

شقَّت تلك الصرخة ، التى تجمع بين آلام الدنيا ومقتها ، فضاء تلك القاعة الصغيرة ، التى تحمل على أكبر جدرانها علَم المحتلِّين الضخم ، وتبعتها عدة تأوُّهات خافتة ، قبل أن يقول (كوماد) فى لهجة أرادها هادئة واثقة ، إلا أنها أتت على الرغم منه عصبيَّة متوتِّرة :



ثم ضغط زرًا صغيرًا ، فسَرَى فى الجسد الأرضىّ تيار كهربىّ ، انتفض له فى قوة .

ــ للمرّة الثالثة أسألك أيها الأرضىّ .. كيف اختفى (نور) ؟

ابتسم الكائن الأرضىّ ، الذى يرقد أمامه ، فوق منضدة التعذيب الكهربية ، مُوثق المعصمين والكاحلين ، وهو يقول فى تهالك وإعياء :

ــ هل اختفى ؟!.. رائع .. أراهن أن هذا يقتلك غيظًا .

صرخ (كوماد) فى ثورة :

ــ أيها الأرضىّ الحقير ..

ثم ضغط زرًا صغيرًا ، فسَرَى فى الجسد الأرضىّ تيار كهربىّ ، انتفض له فى قوة ، وأطلق صرخة عذاب مُدوِّية ، قبل أن تتلاشى الشحنة ، ويهتف (كوماد) مرّة أخرى :

ــ أين اختفى ؟

أجابه الأرضى فى إعياء :

ــ ابحث أنت .

أطلّ غضب هائل من عينى (كوماد) ، واندفعت سبّابته مرّة أخرى نحو الزرّ ، ثم لم تلبث أن توقّفت ، وقد بدا له هذا الأسلوب عقيمًا ، فأعاد كفّه إلى جواره ، وتطلّع إلى الجسد الأرضىّ المنهك لحظات ، ثم عقد كفّيه خلف ظهره ، وراح يقول فى هدوء ، بذل جهدًا رهيبًا ليحصل عليه :

ـــ ما اسمك أيها الأرضىّ ؟

أجابه البشرى ، فى لهجة لم تخلُ من السُّخرية :

ـــ أظننى قد أخبرتك من قبل .. أم أنك ترغب فى التأكُّد من أننى لم أفقد ذاكرتى بعد !!

حافظ (كوماد) على هدوئه ، وهو يقول :

ـــ ربَّما .. أجب فحسب .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم أجابه الأرضىّ :

ـــ اسمى (رمزى) .

مال (كوماد) نحوه ، يسأله فى اهتمام بالغ :

ـــ تقول ملفاتنا إنك عضو سابق فى فريق الرائد (نور) .. أهذا صحيح ؟

أجابه (رمزى) فى بُرُود :

ـــ بل خطأ .

عقد (كوماد) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ لن أسمح لك بالكذب أيها الأرضىّ .

قال (رمزى) فى صرامة :

ـــ أنا لم أكذب .

هتف (كوماد) فى حِدَّة :

ـــ بل تفعل .. لقد أجرينا فحصًا لبصماتك ، ولتلك

الخاصيَّة ، التى تطلقون عليها اسم المسام العَرَقية ، ولبصمة قزحية عينيك ، وأثبتت كل تلك الفحوص أنك (رمزى) ، عضو فريق (نور) ، ثم هأنتذا تنكر ذلك ، فما الذى تُطلقه على هذا الإنكار .. أليس كذبًا ؟

ابتسم (رمزى) فى إعياء ، وهو يقول :

ـــ إننى لم أنكر .

هتف (كوماد) مُحْنقًا :

ـــ ألَمْ تقُل إن ..... ؟

قاطعه (رمزى) فى حزم :

ـــ قلت إن عبارتك كاذبة ، لأننى لست عضوًا سابقًا فى فريق (نور) .

وامتزجت صرامته بحزمه ، وهو يضيف :

ـــ إننى عضو حالىّ أيضًا .

ازداد انعقاد حاجبى (كوماد) فى شدَّة ، وهو يتطلَّع إليه ، ثم لم يلبث أن تراجع فى هدوء ، وجلس على مقعد قريب ، قائلًا :

ـــ تبًّا لك .. إذن فهو تناقض لفظىّ فحسب !

ابتسم (رمزى) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـــ المفروض أن تحمل كل كلمة معناها الدقيق فحسب .

عاد حاجبا (كوماد) ينعقدان ، وهو يقول فى حِدّة واستنكار :

ـــ المفروض ؟!

ثم لم يلبث أن تذكَّر سياسته الجديدة ، فعاد يجتلب الهدوء ، ويقول :

ـــ لا بأس .. هذا يخصّك .

وعاد يميل نحوه ، مستطردًا فى اهتمام :

ـــ اسمع يا (رمزى) .. لقد انتهى عهد فريقك .. لم تعد عضوًا فيه .. أتعلم لماذا ؟.. لأن الفريق نفسه فقد شرعيته .

تمتم (رمزى) فى حزم :

ـــ هُراء .

تظاهر (كوماد) بأنه لم يسمع الكلمة ، وهو يتابع :

ـــ لقد أصبحنا نحن سادة الكوكب .. لم تعُد هناك قوانين سوى قانوننا ، ولا علم سوى علمنا .. هذه هى الحقيقة .. وهذا هو الواقع .. لقد استمدَّ فريقكم شرعيته من انتمائه إلى المخابرات العلمية المصرية ، أما الآن ، فلم يعُد لهذه المخابرات وجود ، وبالتالى فقد الفريق شرعيته .. وهذا يعنى أنك قد أصبحت حُرًا .

غمغم (رمزى) فى سُخرية مريرة :

ـــ حُرًا ؟!

هتف (كوماد) :

ـــ بالطبع .. لم يَعُد هناك من يملك إملاء أوامره عليك .. لم يعُد هناك من تضطر لطاعته .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول :

ـــ مطلقًا ؟!

عقد (كوماد) حاجبيه فى شِدّة ، وهو يقول فى حزم :

ـــ فيما عدانا بالطبع .

ران الصمت لحظات ، ثم قال (رمزى) فى صرامة :

ـــ اسمع يا (كوماد) .. ما دمتم تمتلكون ملفًا عنّى ، فلا ريب أنك قد علمت منه أننى خبير بالطب النفسى ، وهذا يعنى أنك لن تخدعنى ، وأننى أدرك هذا الأسلوب ، وأفهمه جيدًا .. لقد فهمت أن القوة لن تُجدى فى تعاملك معى ، وأن أفضل أسلوب هو التفاهم والعقل والمنطق ؛ لذا فأنت تحاول ضمّى إليك ، وإغرائى بالتخلّى عن (نور) .. أليس كذلك ؟

خيّم الصمت لحظة أخرى ، ثم أجاب (كوماد) فى صرامة مماثلة ، وكأنما قرَّر كشف أوراقه بدوره :

— ليس هذا فقط .. إننى أسعى — وبكل صراحة — إلى الحصول على ذلك الرائد الأرضىّ ، مهما كان الثمن .

ثم عاد يعقد كفّيه خلف ظهره ، وينهض قائلًا :

— ولقد حصلت على بعض المعلومات بالفعل .. فلم يكن الجميع فى مثل صلابتك ، وهم يرقدون فوق تلك المنضدة .. لقد علمت أن الرائد الأرضىّ (نور) قد عبَر مع بعض الرجال ، جهازًا ناقلًا متطوّرًا ، نقله إلى مكان ما .. المعلومة التى تنقصنى هى إلى أين ؟.. وأين اختفى طِيلَة العام السابق ؟

أجاب (رمزى) فى بُرود :

— لن تجد الجواب عندى .

أجابه (كوماد) فى حِدّة ، شفّت عن عجزه عن السيطرة على هدوئه أخيرًا :

— سأجده برغم أنفك .. سأجده مع زميلك (محمود) ، أو مع أستاذكما (حجازى) .. إننى أملك كل المعلومات عنكم ، ولقد أسرنا الجميع .

ولوّح بذراعه ، مستطردًا فى حَنَق :

— كان من الممكن أن تسحقكم العيون الحارسة سَحقًا ، لولا أننى قدّرت أهمية بقائكم على قيد الحياة ، وأصدرت

أوامرى فى اللحظة الأخيرة بأسركم .. كان من الممكن أن أنسفكم نسفًا .

تمتم (رمزى) فى بُرود :

— فلتفعل الآن .

هتف (كوماد) فى غضب :

— ليس الآن .

ثم أضاف فى حِدّة :

— بعد أن أقتنص هذا الرائد الأرضىّ ، سأسحقكم جميعًا بضربة واحدة ..

وانطلق صوته فى صيحة هادرة :

— ولن يطول الانتظار ..

* * *

اقترب الفجر ..

ومضى يوم كامل على الهجوم الأوّل ..

وفى شراسة وتحفّز ، راحت عيون الحراسة الوحشية تجوب الطرقات الخالية ، فى المدينة الكبيرة ، التى أوى سكّانها إلى منازلهم ، انتظارًا لانتهاء فترة حظر التجوال اليومية ، فى العاشرة صباحًا ..

وفجأة ، التقطت إحدى العيون الحارسة جسدًا ، فاندفعت نحوه فى حِدّة ، وهى تجمع كل المعلومات عنه ..

كان جسدًا لأحد جنود (جلوريال) ..

نفس اللون ..

نفس الملامح ..

نفس الزّى ودرجة الحرارة ..

والأوامر تحظر التجوال حظرًا تامًا ، إلا لمن يحملون بطاقات أمن خاصة ، يُمكن للعين التقاطها ..

وتحظر فى الوقت ذاته القضاء على أى جندى من جنود (جلوريال) ..

ولم يكن هذا الجندى يحمل بطاقة الأمن ..

واندفعت عين الحراسة نحو الجندى ، وارتفع من داخلها ذلك الصوت المعدنى الآلى ، يقول بلغة (جلوريال) :

ــ التجوال فى هذه اللحظة محظور أيها الجندى .. عُد إلى موقعك .

أجاب الجندى ، بنفس اللغة :

ــ إننى هنا فى مهمّة خاصّة . .

قالت العين فى حزم آلىّ :

ــ أنت لاتحمل بطاقة الأمن الخاصة .. أكرّر .. أنت لاتحمل البطاقة الخاصة .. عُد إلى موقعك ، وإلّا فسنضطر لتخديرك ، وستعاقب بتهمة مخالفة الأوامر .. إننى أمهلك ثلاثين ثانية .

أجابها الجندى فى برُود :

ــ موقعى بعيد ، ولن تكفينى تلك المهلة .

قال الصوت الآلىّ فى حزم :

ــ عُد .. بقيت عشرون ثانية .. تسع عشرة .. ثمان عشرة .. سبع عشرة ..

وفجأة ، التقطت أجهزة العين حركة مريبة خلفها ..

وبسرعة استدارت ..

وفى نفس اللحظة انتزع الجندى (الجلوريالى) بندقيته ، ورصدت العين وجود أرضيين خلفها ..

وفجأة أيضًا ، وقبل أن تنطلق منها أشعتها الأرجوانية الساحقة ، أحاطت بها شبكة كهرومغناطيسية خاصّة ثقيلة ..

وقفز الأرضيان نحوها ..

كانت عملية أشبه بعمليات صيد الفهود ..

الشبكة الكهرومغناطيسية ، بكل ما تحمله من ترَدُّد قوى ، أتلفت قدرات العين على المراقبة والهجوم ، وأسقطتها أرضًا ..

وهتف أحد الأرضيين :

ـ لقد انتصرنا .. لقد أسرنا أول عين حارسة .

وصاح الآخر في سعادة :

ـ الآن فقط يمكننا دراستها ، وتحييدها لحسابنا .

نزع الجندي الجلوريالي قناعه الأخضر ، ليبدو من أسفله وجه الرائد (نور) ، الذي ابتسم في ارتياح ، وهو يقول :

ـ كان هذا حتميًا .. فأفضل وسيلة لهزيمة الخصم ، هي دراسة كل إمكاناته وأسلحته ، و .....

قاطعه فجأة صوت معدني ، انبعث من العين ، وهو يقول :

ـ خلل في الآلات .. نستعد للتفجير الذاتي خلال خمس ثوانٍ .. أكرر ..

هتف (نور) في جزع :

ـ ستنفجر تلك اللعينة ، تباعدا بسرعة ، قبل أن .....

ولكن الثواني الخمس مضت في سرعة مذهلة ، قبل أن يتم عبارته ، و .....

حدث الانفجار ..

* * *

٣ ـ الاستجواب ..

« لن تجد لديّ شيئًا » ..

قالها الدكتور (محمد حجازي) في تهالك تام ، وقد اكتسى وجهه بعرق بارد ، بعد أن تعرَّض لعذاب طويل متصل ، فوق المنضدة الكهربية ، فانعقد حاجبا (كوماد) ، وهو يقول في حدة وغضب :

ـ أي هُرَاء هذا ؟.. إنكم فريق (نور) ، فكيف تجهلون كل أموره ؟

تمتم الدكتور (حجازي) متهالكًا :

ـ لأننا لم نرَ (نور) طوال العام السابق كله .

لوَّح (كوماد) بذراعه ، هاتفًا :

ـ مستحيل !!

أجاب الدكتور (حجازي) ، وهو يكاد يفقد وعيه :

ـ ولكنها الحقيقة .. (محمود) وحده .....

بتر عبارته بغتة ، وقد بدا له ضررها العنيف بالنسبة لـ (محمود) ، إلا أن هذا البتر لم يؤدِّ إلا لزيادة لهفة (كوماد) وتوتره ، وهو يقفز من مكانه ، هاتفًا :

— (محمود) وَحْده ماذا ؟
أشاح الدكتور (حجازى) بوجهه ، قائلًا فى صرامة :
— لا شىء .
أمسك (كوماد) ذراعه فى قوة رهيبة ، خُيِّل للدكتور (حجازى) أنها ستؤدّى إلى بتره ، وهو يقول فى حِدّة :
— خطأ أيها الأرضىّ .. لقد أوقعك لسانك ، وأفشىَ السّر .. لقد أدركت الآن مع من سأجد ما أسعى إليه .
وتراجع وعيناه تلمعان ببريقهما الدموىّ المخيف ، مستطردًا :
— أما أنت و (رمزى) ، فسترسلان مع باقى من وقع عليهم الاختيار ، وباقى المخالفين والأسْرَى إلى حيث نُرسل المعارضين .
انقبض قلب الدكتور (حجازى) ، واحتبست غُصّة فى حلقه ، وهو يمنح صوته كل ما تبقّى له من القوة والشجاعة ، ويقول :
— أتقصد إلى الجحيم ؟
صمت (كوماد) لحظات ، تجمّدت خلالها ملامحه تمامًا ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة عجيبة .. أقلّ ما يقال عنها

هو أنها مخيفة شرسة رهيبة ، ويقول فى صوت يجمع ما بين الهدوء والسُّخرية والرّهبة :
— نعم .. إلى الجحيم .. ولكنه ليس الجحيم الذى تعرفه وتقصده ، بل هو جحيم يصنعه الإمبراطور فى أرضكم .. بواسطتكم .. جحيم سيلتهم يومًا كوكبكم كله .. جحيمنا ..

* * *

كان الانفجار عنيفًا بحق ..
ولم يكن أمام (نور) الوقت الكافى للابتعاد ..
ولقد شعر بالانفجار فى جسده كله ، وهو ينتزعه من الأرض ، ويدفعه إلى الخلف ، ويضربه بحائط المبنى المجاور ، ثم يلقيه أرضًا ..
وكان الألم رهيبًا .. لا يطاق ..
وحاول (نور) أن يقاوم تلك الغيبوبة ، التى راحت تسيطر على عقله ، وتحيط به تدريجيًا ، وهتف فى ألم :
— ليس الآن .. ليس الآن .. ليس هنا ..
ولكن هتافه هذا لم يتجاوز عقله ، الذى هَوَى فى أعماق الغيبوبة .. وهَوَى .. وهَوَى .. وفى المقر السّرّىّ للمقاومة ، هتفت (نشوى) فى جزع ، وهى تراقب ما يحدث على شاشة الراصد الخاص :

— يا إلهى !!.. أبى ...

عقد (فارس) حاجبيه ، وهتف وهو يلتقط بندقية من بنادق الأشعة الأرجوانية ، ويندفع نحو مخرج المقر السرّى :

— هذا يحتاج إلى تدخل سريع .

هتفت به (سلوى) :

— انتظر .. إنك تجازف بحياتك هكذا .. لابدّ أن ترتدى زيًا جلورباليًا على الأقل ، أو .....

هتف وهو يندفع خارجًا :

— لا وقت .

انطلق يعدو عبْر ممرّ الخروج الطويل ، حتى بلغ نهايته ، فضغط أزرار المخرج فى سرعة ، وبدت له تلك الثوانى ، التى أعقبت ذلك ، طويلة كالدهر ، قبل أن ينزاح الباب الفولاذىّ أمامه فى سرعة ، كاشفًا المخرج ، فأسرع يندفع عَبْرَه ، وتركه يُغلق خلفه ، ثم ركض عبْر الطريق ، متجهًا إلى حيث سقط (نور) والرجلان ...

كان من الواضح أن الرجلين قد لقيا مصرعهما على الفور .. ربما لأنهما كانا الأقرب ..

أما (نور) ، فكان على قيد الحياة ..

أو هكذا تصوّر (فارس) ..

وحول المكان ، تناثرت شظايا عين الحراسة المنفجرة ..

وبكل اللهفة والجزع فى أعماقه ، أسرع (فارس) نحو (نور) ، وفحصه مغمغمًا فى توتّر وانفعال :

— حمدًا لله .. إنه حىّ .. تلك الكُرَات اللّعينة مزوّدة بجهاز تفجير ذاتى ، فى حالة الخطر .. لقد كان انفجارها عنيفًا للغاية ، ولكن يبدو أن أجهزة خفض الحرارة ، فى زىّ التنكّر اللّعين هذا ، قد حجبت خطورة الانفجار عن جسده .

رفع جسد (نور) ، وحمله متجهًا إلى الممرّ السرّى مرّة أخرى ..

وفجأة ، أدرك (فارس) أن معلوماته كانت قاصرة ..

لم تكن عين الحراسة مزوّدة بجهاز تفجير ذاتى فحسب ..

كانت مزوّدة أيضًا بجهاز إنذار مبتكر ..

ومع انفجارها ، انطلق الإنذار ..

وعلى إثر ذلك ، أعلنت عيون الحراسة حالة الطوارئ ..

وفى تلك اللحظة التى حمل فيها (فارس) (نور) ، كانت عيون الحراسة قد بلغت المكان ..

وكانت فى هذه المرّة أكثر شراسة ..

وأكثر وحشية ..

* * *



وبكل اللهفة والجزع فى أعماقه ، أسرع (فارس) نحو (نور) ، وفحصه مغمغمًا فى توتّر وانفعال .

انتفض جسد (محمود) فى رُعب ، عندما قيّده (كوماد) إلى المنضدة الكهربية ، واسترجع صرخات الألم الهائلة ، التى انتقلت إليه ، حاملة صوتى (رمزى) والدكتور (حجازى) ، عندما ساقهما (كوماد) إلى الحجرة ذاتها ، فقال فى توتّر عصبىّ :

— أين (رمزى) والدكتور (حجازى) ؟

أجابه (كوماد) فى برود :

— لقد ذهبا .

سأله فى حِدّة :

— إلى أين ؟

أجابه القائد الجلوريانى ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

— إلى حيث ستذهب ، لو لم تخبرنى بما أريد سماعه .. إلى الجحيم .

اتسعت عينا (محمود) هلعًا ، وهو يهتف :

— هل قتلتهما ؟

هزّ (كوماد) كتفيه ، وهو يقول :

— ربّما .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— قد يبدو لك هذا أكثر رحمة ، عندما تلحق بهما .

سأله (محمود) فى توتر بالغ :

— إلى أين أرسلتهما ؟

أجابه فى صرامة :

— إلى جحيمنا الخاص ..

ثم اعتدل ، واستطرد فى حزم :

— والآن أخبرنى .. أين الرائد (نور) ؟

ازدرد (محمود) لعابه فى توتر ، وهو يقول :

— لست أدرى .

انعقد حاجبا (كوماد) ، وهو يقول فى صرامة :

— تخطئ لو تصورت أن الكذب سيجدى هذه المرّة أيها الأرضىّ .. لقد علمت من أستاذك (حجازى) أنك الوحيد ، الذى بقى مع (نور) ، طيلة العام الماضى .

تمتم (محمود) :

— هذا صحيح ، ولكن .....

قاطعه (كوماد) فى ثورة :

— ولكن ماذا ؟

أجابه فى خفوت :

— ولكننى أجهل أين هو الآن .

حدجه (كوماد) بنظرة ساخطة للغاية ، ثم قال محاولاً استعادة هدوئه :

— حسنًا .. سأقنع نفسى بأن هذا أمر منطقى ، لأنك لم تذهب معه ، عندما غيّر ذلك الناقل ، وسأسألك إذن ، أين كنت تختفى معه ، طوال العام السابق ؟

ازدرد (محمود) لعابه مرّة أخرى ، وهو يجيب :

— أيضًا لست أدرى .

صاح (كوماد) فى غضب :

— فى هذه المرّة أنت كاذب ، ولن يستمر كذبك طويلاً ، فسأدفع فى جسدك تيارًا كهربيًا رهيبًا ، و .....

قاطعه (محمود) هاتفًا :

— مهلاً .. جوابى هذه المرّة أيضًا منطقىّ .

عقد (كوماد) حاجبيه فى شدّة ، وهو يقول :

— اسمع أيها الأرضىّ .. لو أنك تعبث بى ، فسوف .....

هتف به (محمود) مقاطعًا :

— أقسم إننى لست مراوغًا .. لقد كنت أعلم الجواب تمامًا ، ولكن .....

قاطعه (كوماد) محتدًا :

— ولكن ماذا ؟
أجابه في توتّر :
— ولكن (رمزى) أنسانى إيّاه .
تراجع (كوماد) في دهشة ، وتصاعدت دماء الغضب في رأسه ، وهو يقول :
— ماذا تعنى ؟
أجابه في انفعال :
— إن (رمزى) يمتلك قوّة نادرة ، في مجال التنويم المغناطيسى ، ولقد أدرك عندما تم أسرنا أننى الوحيد ، الذى يعرف موقع (نور) ؛ لذا فقد أخضعنى للتنويم المغناطيسى ، وأمرنى بنسيان كل ما أعرفه ، وعدم تذكُّره ، مهما كان السبب ، ومهما كانت الظروف أو الضغوط .
هتف (كوماد) في حِدّة :
— مستحيل !!.. أنت تكذب .
قال (محمود) متوتّرًا :
— أقسم إنها الحقيقة .
صاح (كوماد) :
— إنه لم يمح ذاكرتك تمامًا بالتأكيد .. لقد ترك فيها أو إليها منفذًا .. كلمة سرّ ، أو .....

قاطعه (محمود) متوتّرًا :
— لم يفعل .. لقد أراد محو السّرّ ، وضمان ضياعه تمامًا .
اتسعت عينا (كوماد) في هلَع .
لم يصدّق أبدًا أن أمله الوحيد قد انهار على هذا النحو ..
لم يستطع استيعاب ذلك ..
وفي صرامة شديدة قال :
— أنت كاذب ..
وصرخ في ثورة :
— ولكننى سأجبرك على الاعتراف بالحقيقة .
وضغط الزّرّ في غضب هادر ..
وانطلقت صرخة العذاب ..
عذاب (محمود) ..

* * *

رأت (نشوى) ما حدث ، على شاشة الراصد ، وهتفت :
— أمّاه .. عشرات من عيون الحراسة القاتلة تندفع نحو (فارس) ، وهو يحمل أبى الفاقد الوعى .
شحُب وجه (سلوى) في قوة ، وهى تهتف :
— يا إلهى !!.. (نور) .

والتقطت بذوْرها بندقية من بنادق الأشعة الأرجوانية ، وهي تستطرد :

ـــ اثنان أفضل من واحد .

صاحت بها (نشوى) :

ـــ أمّي .. هذا انتحار .

ولكن (سلوى) لم تستجب ..

لم تكن تحتمل فكرة فقد (نور) ..

كان الأفضل لها أن يقضيا معًا ..

وفي نفس اللحظة كان (فارس) يطلق أشعة البندقية الأرجوانية نحو عيون الحراسة ، ويسحق بعضها في إصرار ، وهو يتفادى أشعة البعض الآخر في رشاقة يُحسد عليها ..

لم تكن بالمهمّة السهلة ..

كانت أشبه بالانطلاق وسط حقل من الألغام ، بسرعة البرق ، والمرء يخفي عينيه بمنظار أسود ..

وكان من الواضح أن النجاة من هذه الحلقة الجهنّمية مستحيلة ، خاصةً وأن أجهزة الكمبيوتر ، التي تسيِّر تلك العيون القاتلة ، كانت من النوع المتطوّر للغاية ، والمزوَّد بدوائر ذكاء خاصة ، تؤهّلها للإفادة من تجاربها ؛ لذا فلم تكد تدرك

قوة خصمها ، وقدراته الفائقة ، حتى طوّرت أسلوبها ، وخطّتها الهجومية ، وأطلقت أشعتها نحو بندقية الخصم أوّلًا ..

وانفجرت بندقية (فارس) ..

وألقاه الانفجار أرضًا مع (نور) ..

واستعاد (نور) وعيه في اللحظة ذاتها ..

ورأى مع (فارس) ، ومع (سلوى) ، التي غادرت المخبأ السرّي في اللحظة ذاتها ، تلك الحفنة من عيون الحراسة ، التي انطلقت نحوهم ، واستعدّت لإطلاق أشعتها الساحقة عليهم ..

وأدرك الثلاثة في لحظة واحدة أن النهاية محتومة ..

وفي اللحظة التالية اندفعت (سلوى) نحو زوجها ، صارخة :

ـــ لا .. ليس (نور) .

وانطلقت الأشعة الأرجوانية القاتلة من عيون الموت ..

انطلقت كلها نحو هدف واحد ..

نحو ثلاثة من أهل الأرض ..

* * *



وأدرك الثلاثة فى لحظة واحدة أن النهاية محتومة .

٤ ـــ الزائر ..

من العسير أن يتفادى المرء كل هذا القدر من الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

من المستحيل فعلًا أن ينجح ..

وعندما وحّدت عيون الحراسة صفوفها ، وأطلقت أشعتها كلها دفعة واحدة ، كانت تعلم ، طبقًا للمسجّل فى دوائر ذاكرتها الإليكترونية ، هذه الحقيقة ..

وكان (نور) وزوجته ورفيقه يعلمونها أيضًا ..

لذا كانت النتيجة مفاجئة للجميع ..

لقد ارتطمت خيوط الأشعة الساحقة كلها بحاجز خفىّ ، قبل أن تبلغ أبطالنا الثلاثة ، وتألّقت كشمس أرجوانية هائلة ، قبل أن تتكسّر وتتلاشى ..

وحارت ذاكرة العيون القاتلة عن فهم ما حدث ..

وكذلك عقول (نور) و (سلوى) و (فارس) ..

وهتف (فارس) فى ذُهول :

ـــ ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه (نور) ، وهو ينهض فى عزم :

ــ لقد نجونا .. وهذا يكفى .

هتفت (سلوى) ، وهى تشير إلى عيون الحراسة ، التى دارت حول نفسها فى عنف ، ثم عادت تصوّب أسلحتها إليهم :

ــ ليس بعد .

لم تكد تتمُّ عبارتها ، حتى أطلقت العيون القاتلة أشعتها الأرجوانية مرّة أخرى ..

وعادت إليها الحَيْرة ..

لقد حدث نفس ما حدث ..

ارتطمت الأشعة بحاجز خَفِىّ ، وتألّقت فى عُنف ، وببريق يخطف الأبصار ، أجبر الثلاثة على إبعاد عيونهم ، وإخفائها بكفوفهم ، وهتف (نور) :

ــ هناك مَنْ يعمل لحسابنا هنا .

صاحت (سلوى) :

ــ مَنْ ؟.. إننا آخر من يملك مفاتيح التكنولوجيا ، فى هذا العالم .

غمغم (فارس) فى صوت يشفُّ عن التوتُّر البالغ :

ــ دَعُونا من هذا السؤال الآن .. ولنلقِ سؤالاً آخر : هل سننجو فى هذه المرّة أيضًا ؟

قال هذا وهو يتطلّع إلى العيون ، التى صوّبت أسلحتها فى حزم ، والتمعت ببريق أزرق مخيف ، كما لو أنها تضاعف من قوّة هجومها ، وأضاف :

ــ أم أن الأمر سيختلف ؟

وبالفعل ، اختلف الأمر ..

لم ترتطم الأشعة الأرجوانية بحاجز خَفِىّ ..

لأنها لم تنطلق أبدًا ..

لقد اكتسحتها موجة رهيبة من أشعة برتقالية ..

موجة حوّلتها فى لمح البصر إلى رماد وركام ..

وهتفت (سلوى) فى ذُهُول :

ــ ربّاه !!.. أى ملاك حارس هذا ؟

تحرّكت يد (فارس) فى حركة غريزية نحو حزامه ، الذى لم يعُد يحمل المسدَّس الليزرىّ التقليدىّ منذ عام كامل ، وهو يتراجع فى حركة حادّة ، قائلاً فى توتُّر بالغ :

ــ ملاك أو شيطان .. الله (سبحانه وتعالى) أعلم ..

التفت (نور) و (سلوى) إلى حيث يتطلّع فى توتُّر ، ووقعت عيونهما على ذلك المخلوق ، الذى يقف قبالتهم هادئًا ..

وأمام شاشة الراصد ، فى الجبل السرى ، تراجعت (نشوى) فى ذعر ، هاتفة :

ــ رباه !!.. أى مخلوق هذا ؟

كان ذلك المخلوق الرهيب ، الذى يقف أمام أبويها و (فارس) مخيفًا ..

وهو لم يكن أرضيًا ..

لم يكن كذلك قط ..

* * *

شعر (كوماد) بالإرهاق أخيرًا ..

كان من الواضح أن (محمود) يجهل حقًا أين كان ..

لقد محا (رمزى) الأمر من ذاكرته تمامًا ..

مستحيل أن تكون الحقيقة غير ذلك ..

لقد كاد يلقى حتفه ، وهو يؤكد أنه لا يذكر شيئًا ، وهاهو ذا الآن فاقد الوعى ، منهارًا من شدة ما لاقاه من عذاب ..

و (كوماد) يكاد ينفجر غيظًا ..

لقد انهزم مرتين ، فى يومين متتاليين ..

مرة عندما تحداه (نور) ، على شاشات الرصد ، فى كل

أنحاء العالم ، وأذل ناصيته ، بنجاحه فى إنقاذ والديه برغم أنف الغزاة ..

ومرة عندما لم يفلح هو فى انتزاع أى سر من رفاقه ..

لقد تصور ، عندما نجح فى أسرهم ، أنه سينتزع منهم كل أسرار (نور) حتمًا ..

ولكنه فشل ..

وكانت هزيمته هذه المرة مريرة ..

وفى حنق ، ضغط أحد أزرار حزامه ، فانفتح باب القاعة ، ودخل إليها أحد جنود الإمبراطورية ، وهو يقول :

ــ فى خدمتك أيها القائد .

أشار (كوماد) إلى (محمود) ، قائلاً فى توتر :

ــ خذوه .

سأله الجندى فى اهتمام :

ــ هل ننقله إلى حيث أرسلنا رفاقه ؟

هز رأسه ، قائلاً فى حزم :

ــ ليس بعد .

وصمت وهلة ، ثم أضاف فى حدة :

ــ إننى لم أنته منه بعد .

أشار الجندى إلى زميلين ، أسرعا يحملان (محمود) إلى الخارج ، فى حين وقف هو متردِّدًا ، حتى صاح به (كوماد) فى حِدَّة :

ـــ ماذا هناك أيها الجندى ؟

انتزع الجندى نفسه من توتُّره ، وقال فى سرعة :

ـــ هناك اضطرابات غير مفهومة فى منتصف المدينة ياسيِّدى .

عقد (كوماد) حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يقول :

ـــ اضطرابات ؟!.. ماذا تعنى بتلك الكلمة ؟

أجابه الجندى فى سرعة ، قبل أن يعاوده توتُّره :

ـــ لقد توقَّفت عدَّة عيون حراسة عن العمل ، ويُخشى أن يكون هناك تخريب خلف هذا .

هتف (كوماد) فى حِدَّة :

ـــ تخريب ؟!.. أيَّة حماقة هذه ؟.. كيف لم يخبرنى أحد بالأمر ؟.. متى حدث هذا ؟

أجابه الجندى فى ارتباك :

ـــ منذ ربع الساعة فقط أيها القائد .

صاح (كوماد) فى حَنَق :

ـــ ربع الساعة أيها الأغبياء .

غمغم الجندى متوتِّرًا :

ـــ لقد أمرت بعدم مقاطعتك أيها القائد ، و .....

قاطعه (كوماد) ثائرًا :

ـــ إلاَّ فى حالات الطوارئ أيها الحمقى .. ماذا تسمُّى توقُّف عيون الحراسة فى منطقة كاملة عن العمل ؟.. أليس أمرًا طارئًا للغاية .

والتقط حرملته ، وهو يندفع خارجًا ، مستطردًا فى حزم غاضب :

ـــ أعِدّ حملة قوية لاستطلاع المكان ، فهذا العمل لن يخرج عن كَوْنِهِ أحد حماقات المقاومة .. ولكنها حماقة ستوردهم حتفهم هذه المرَّة .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

ـــ أو تكشف مخبأهم على الأقل .

* * *

تفجَّرت موجة من الحَنَق البالغ ، فى أعماق (فارس) ، حينما لم يجد مسدَّسه اللِّيزرى فى موضعه ، وتذكَّر فى سُخط أنه لم يَعُد هناك منذ عام كامل ، وودَّ لو ينقضّ على ذلك الكائن



تابع ببصره (نور) ، وهو يندفع نحو المخلوق غير الآدميّ ، ويصافحه في حرارة

الفضائي المخيف ، حتى أنه قد أصيب بذهول شديد ، عندما تهلّلت أسارير (نور) ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!.. يالها من مفاجأة !

لم يتسم المخلوق الفضائي ..

لم يبدُ عليه حتى أنه قد سمع عبارة (نور) ، لولا أن قال في صوت جاف ، وبلغة لم يفهم منها (فارس) حرفًا واحدًا :

ـ إنها مفاجأة لي أن أجدك حيًّا .

ابتسم (نور) ، وهو يقول في حماس :

ـ وأنا أيضًا .

التفت (فارس) إلى (سلوى) ، يسألها في حِدَّة :

ـ مَنْ هذا ؟

أجابته في صوت يشفُّ عن الارتياح :

ـ صديق ..

غمم في عصبيَّة :

ـ هذا في حدِّ ذاته يجعلني متوتِّرًا .

تابع ببصره (نور) ، وهو يندفع نحو المخلوق غير الآدميّ ، ويصافحه في حرارةٍ ، قائلًا بلغة عجيبة :

ـ مرحبًا بك في كوكبنا هذه المرَّة .

أشار المخلوق إلى (فارس) و (سلوى) ، وهو يقول :

ــ من هذا ، الذى يصاحب زوجتك ؟

أجابه (نور) بلغته :

ــ اطمئنّ .. إنه صديق .

ثم أضاف :

ــ والآن هيّا بنا نبتعد ، فلست أظن ما فعلته بعيونهم سيرُوق لهم .

أجابه المخلوق ، وهو يتبعه إلى الممرّ السرى فى خطوات واثقة :

ــ لقد سرقوها من تكنولوجيتنا ، وأدخلوا عليها تلك التعديلات السخيفة .

هتف (نور) وهو يُسرع :

ــ سنناقش هذا فيما بعد .. هيّا .

سأل (فارس) فى عصبيّة :

ــ مَنْ هذا أيها القائد ؟

أجابه (نور) ، وهو يندفع نحو المخبأ :

ــ إنه قائد فضائىّ مغوار يا (فارس) .. قائد يُدعى (بودون)(*) .

(*) راجع قصة (معركة الكواكب) .. المغامرة رقم (٥٨) .

عندما وصل (كوماد) ورجاله إلى أرض المعركة ، كانت الساحة خالية ، إلا من أشلاء ورماد العيون المسحوقة ، وشظايا جدران محطّمة ، فهتف (كوماد) فى حَنَق :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟.. مَنْ فعل هذا ؟

وقبل أن ينطق أحد من رجاله بحرف واحد ، لوّح بذراعه فى سُخط وغضب ، مجيبًا :

ــ إنهم رجال المقاومة الملاعين .

وانعقد حاجباه فى حزم ، وهو يهتف :

ــ ولكنهم لن ينتصروا هذه المرّة .

قال أحد رجاله فى حَذَر :

ــ لقد فحصنا المنطقة بالرادار الكاشف أيها القائد ، ولا يوجد أدنى أثر لهم .

أجابه (كوماد) فى حَنَق :

ــ الرادار الكاشف يبحث عن الأجسام المادّيّة فحسب .

والتقط منظارًا صغيرًا من حزامه ، وهو يستطرد :

ــ ولكن لاقطات الانبعاث الحرارى تخترق حاجز الزمن ، وتخبرنا من كان هنا منذ قليل .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية ، وهو يضيف :

— وهذا ما سيُوقع بأصدقائنا ..

ولم يكد يضع المنظار على عينيه ، حتى لاحت له ظلال حمراء ..

ظلال من كانوا هناك منذ قليل ..

وكانت هذه الظلال تقوده إلى هدفه ..

إلى مخبإ المقاومة ..

* * *



٥ — ظل جاسوس ..

عقد (فارس) حاجبيه فى ضيق ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (بودون) ، اللذين انهمكا فى حوار جاد ، داخل حجرة منعزلة بجدران زجاجية سميكة ، فى طرف مركز المقاومة السرّىّ ، وغمغم فى حنق :

— لم أفهم بعد من هو هذا الفضائى ؟

أجابته (سلوى) فى خفوت ، وهى تتابع الأمر بدوْرِها فى اهتمام :

— إنه (بودون) .

سألها فى توتر :

— من (بودون) ؟

أجابته فى شرود :

— إنه مقاتل أرغورانى ، كان ينتمى قديمًا إلى مخابرات كوكبه (أرغوران) ، ولقد جاء يومًا إلى هنا ، فى مهمّة استطلاعية ، تمهيدًا لإرسال بعثة احتلال من كوكبه ، الذى يفوقنا حضاريًا بآلاف السنين .

هتف (فارس) في سُخط :

ـــ احتلال ؟!

ابتسمت وهي تقول :

ـــ لقد كاد ينجح حينذاك ، حتى أنه قد أسَرَنا ، وصغَّر أحجامنا ، وحملنا إلى كوكبه .

تطلّع إليها (فارس) في دهشة ، وهو يقول في انفعال :

ـــ يا إلهي !!.. وماذا فعلتم هناك ؟

ضحكت في اختصار ، وهي تجيب :

ـــ نجحنا في احتلال كوكبه .

اتسعت عيناه في ذهول ، وهو يحدّق في وجهها ، متمتمًا :

ـــ احتلال كوكبه ؟!

ثم أدار عينيه إلى الحجرة الزجاجية ، يحدّق في وجه (بودون) في دهشة بالغة ، قبل أن يغمغم :

ـــ هذا مستحيل !!

ثم يعقد حاجبيه ، مستطردًا :

ـــ بالنسبة لي على الأقل .

في نفس اللحظة كان (نور) يقول لـ (بودون) :

ـــ أليس أمرًا عجيبًا يا (بودون) ، أن تأتي إلى الأرض مرّتين : مرّة لتوقع بها ، والأخرى لتنقذها ؟

أجابه (بودون) في هدوء :

ـــ ربّما كان كذلك .

ثم أضاف في ضيق :

ـــ ولكن الأمر كله يثير حيرتي .. لقد كان (جلوريال) هذا متخلفًا عنّا ، ثم إذا به يقفز في سُلّم التطوّر بغتة ، ويحتلنا على حين غِرّة ، ثم يستولي إمبراطوره على كل الوثائق الخاصة بك ، ويقود حملته لاحتلال كوكبك .

صمت لحظة ، ثم استطرد :

ـــ لقد بدا لي وكأنه قد فعل كل هذا من أجلك .

غمغم (نور) في دهشة :

ـــ من أجلي أنا ؟!

ثم هزّ رأسه ، مردفًا في حزم :

ـــ مستحيل يا (بودون) .. لابدّ أنك واهِمٌ .

ظلّ (بودون) جامدًا لحظات ، ثم قال :

ـــ ربّما .

سأله (نور) في اهتمام :

ـــ ولكن قُل لي : كيف نجوت من هؤلاء الغزاة في كوكبك ؟

أجابه (بودون) في اقتضاب شديد :

— بمعجزة .

بدا لحظة أنه سيشرح كيف ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع ، وهو يقول :

— لم يعد هذا مهمًا الآن .. المهم هو كيف ستنجو أنت ؟

ابتسم (نور) مغمغمًا :

— تقصد كيف سينجو كوكبي ؟ ... حسنًا .. هل يمكنك معاونتنا ؟

هزَّ كتفيه ، وقال :

— إنني لم أحمل من كوكبي سوى أقل القليل ، وهو لن يكفي لإنقاذ كوكب كامل .

سأله (نور) :

— لماذا أتيت إلى هنا إذن ؟

صمت (بودون) طويلًا ، ثم أجاب :

— لقد كنت تستطيع قتلي يومًا في كوكبي ، ولكنك عفوْت عني ، وعلَّمتني كلمة لم تندرج في قاموسنا يومًا من قبلك .. كلمة السلام .

صمت برهة أخرى ، ثم أضاف :

— ولقد أتيت من أجله .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم مستفهمًا :

— من أجله ؟!

التفت إليه (بودون) ، وهو يقول :

— نعم .. الإمبراطور (آغرو) ورجاله هم أعدَى أعداء السلام ، ولقد أتيت من كوكبي لأعمل تحت قيادتك ، حتى تستعيد الأرض حريتها ، ثم ننطلق معًا إلى كوكبي ، فنحرِّره .

رَانَ الصمت لحظات ، ثم مدَّ (نور) يده إليه ، قائلًا في قوَّة :

— فلنعتبره عقدًا .

صافحه (بودون) ، وهو يبتسم ، قائلًا :

— إنه كذلك .

لم تكد كفَّاهما تتشابكان ، حتى اقتحمت (نشوى) الحجرة ، وهي تقول :

— خطر يا أبي .. إن (كوماد) ورجاله هنا .

ابتسم (نور) قائلًا :

— هذا يدعو إلى السُّخرية .

أجابته في توتُّر :

— بل إلى الخوف يا أبى ، فهو يملك جهاز تتبُّع حرارى ، وهو جهاز يلتقط موجات الأشعة دون الحمراء ، التى تتخلَّف عن الأجسام الحيَّة .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

— ماذا ؟

ثم التفت إلى (بودون) ، مستطردًا بلغته :

— هذا يعنى أنه يستطيع تعقُّب حرارة أجسادنا ، حتى يصل إلى مقرّنا السِّرّى .

غمغم (بودون) :

— لقد سمعت .. أنسيت أننى أفهم لغة شعبك ، وأستطيع التحدُّث بها ؟

واستدار إلى (نشوى) ، قائلاً بالعربية :

— اطمئنى أيَّتها الأرضية .. لن يصل هذا الجلوربالى إلى هنا .

أشارت (نشوى) إلى شاشة الجهاز ، وهى تقول فى عصبيَّة :

— فى وجود هذا الجهاز ، يبدو قولك هذا مشكوكًا فيه .

أجابها فى صرامة :

— لن نمنحه الفرصة لذلك .

ثم التقط من حزامه كُرة صغيرة حمراء ، وهو يقول مستطردًا :

— وسنبدأ بهذه .

بدت لها عيناه مخيفتين ، وهو يحدِّق فى الكُرة بعض الوقت ، ثم يقول فى حزم :

— اذهبى .

وعلى الفور ، تركت الكرة أصابعه ، وهامت فى الهواء ، وكأنما لا أثر للجاذبية الأرضية عليها ، وتحرَّكت فى بطء خارج الحجرة ، ثم اندفعت نحو المخرج السِّرّى ، وهتفت (سلوى) :

— سترتطم بالباب الفولاذى .

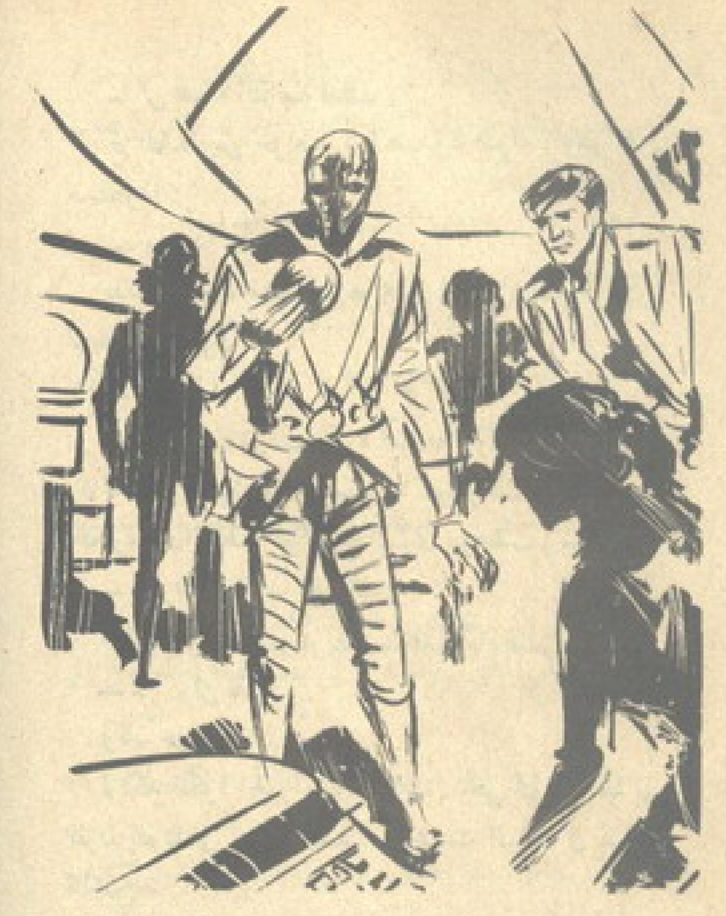
أجابها (بودون) ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره فى حزم :

— لا .. لن تفعل ..

وكان على حق ..

لم تكد الكُرة الحمراء تبلغ الباب ، حتى تحوَّلت بغتة إلى اللون البرتقالى ، ثم الأصفر ، وعَبَرت الباب فى هدوء كالشبح ..

واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهتف (فارس) :



ثم التقط من حزامه كُرة صغيرة حمراء ، وهو يقول مستطردًا :
— وسنبدأ بهذه —

— ما هذا بحقّ السماء ؟

أجابه (بودون) فى هدوء :

— اهتزاز ذرّىّ فائق التردُّد ، يبيح لها العبور خلال ذرّات الباب ، مهما بلغ تماسكها .

ثم أضاف فى حزم :

— إنه واحد من أسلحة (أرغوران) السّرّيّة ، التى لم تقع بعد فى أيدى الأعداء .

سألته (نشوى) فى توتُّر :

— هل سيفلح ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

— سترون جميعًا .. سترون بعد لحظات .

* * *

بدت عينا (كوماد) ، من خلف منظار الفحص الإشعاعى ، كعينى صقر وحشىّ شرس ، وهما تدوران فى المكان ، فى حين أخذ صاحبهما يغمغم فى شراهة نمر مفترس ، رأى فريسته على قيد خطوات منه :

— الظلال تختلط كثيرًا هنا .. ولكننى خبير فى مثل هذه الأمور .. لقد بدأ الأمر برجلين ، وثالث يحمل درجة حرارة

مشابهة لدرجة حرارة أجسادنا ، وربما كان شخصًا متنكرًا ، ثم اندفع الثلاثة فى عُنف ، وأظن ذلك قد حدث مع انفجار إحدى عيوننا الحارسة ، ولقد لَقِىَ اثنان منهم مصرعهما على الفور ، وانخفضت حرارة جسديهما فى سرعة ، حتى تلاشت ، وبقى الثالث فاقد الوعى ، ثم خرج رجل من هذا المبنى ، وحمله على كتفه ، وبعدها راح يتقافز فى مرونة رائعة ، وخيوط الأشعة الأرجوانية تحيط به ، و .....

بتر عبارته بغتة ، ثم غمغم فى توتُّر :

ـ عجبًا !!

لم يجرؤ أى من رجاله على سؤاله عن سرّ صمته المباغت ، فلزموا جميعهم الصمت ، حتى عاد هو يقول :

ـ لقد ظهر شخص ثالث .. بل رابع .. فهناك أنثى اندفعت من المكان نفسه ، وانضمت إلى الرجلين ، وظهر ذلك الرابع بعدها ، وهو يملك قوّة عجيبة ، لا يملكها سوى .....

بتر عبارته مرّة أخرى ، ثم استطرد فى حَيْرة :

ـ سوى سُكّان (أرغوران) .

تبادل رجاله نظرات الحَيْرة ، ثم تمتم أحدهم فى حَذر :

ـ وكيف يأتى رجل من (أرغوران) إلى هنا أيها القائد ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـ لست أدرى كيف ، ولكنه هنا حتمًا .

ثم عاد يتطلّع إلى ساحة المعركة ، مستطردًا فى حِدّة :

ـ لقد ظهر هنا ، وحطّم عيون الحراسة ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت الكُرة الحمراء بغتة ، واندفعت إلى الساحة ، وهتف (كوماد) :

ـ ما هذا بحقّ السماء ؟!

وفجأة ، توقّفت الكُرة ، ودارت حول نفسها فى سرعة فائقة ، ثم سطعت ببريق أحمر رهيب ..

ومحا بريقها كل الظلال الحرارية ، ثم تلاشى دفعة واحدة ..

وفقدت الكُرة لونها الأحمر ، وسقطت فى لون أزرق داكن ، واستقرّت على الأرض كقطعة من الحجر ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (كوماد) فى حنق :

ـ اللعنة !! لقد مَحَت تلك القنبلة الحرارية كل الآثار .

ثم أضاف فى غضب ، وهو يشير إلى رجاله بذراعه :

ـ ولكن هذا لن يُوقفنا .. لقد خرجت الظلال كلها من هنا ، وهذا يعنى أن المخبأ السرّىّ فى مكان ما هنا ..

وتعالى صوته ، حتى صار كالعاصفة ، وهو يستطرد :

— وسأهدم المكان كله لو لزم الأمر ، المهم أن أحطم المقاومة هذه المرة .. وسأفعل .

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدةٍ ، وهو يتابع ما يحدث على شاشة الراصد الخاص ، قبل أن يهبّ من مقعده ، قائلا فى حنق :

— هذا الوغد .. سيهدم المنازل على رءوس أصحابها ، حتى يصل إلينا .. لا يقلقه كل ما سيريقه من دماء .

قال (بودون) فى جمود كعادته :

— (كوماد) لا يبالى بإسالة نهر من الدماء ، ليصل إلى أهدافه .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

— صدقت .. العنف أمر بشع ، لكنه يصبح ضروريًا فى بعض الأحيان ، عندما يتصدّى للوحشية .

وتألقت عيناه ببريق العزم ، مستطردًا :

— ومن حسن الحظ أن رجالنا قد جعلوا لهذا المخبأ عشرات المخارج والمداخل السرّية ، حتى صار أشبه بجحر الثعالب .

هتفت ابنته (نشوى) فى دهشة :

— هل تسعى للفرار يا أبى ؟

هزّ رأسه فى بطء ، وهو يقول :

— لا يا بنتى العزيزة .. إننى أسعى لتحطيم غرور (كوماد) .

ثم التفت إلى (بودون) مستطردًا :

— هل يبلغ حماسك الحدّ الكافى ، لبدء الصراع على الفور ؟

أومأ (بودون) برأسه إيجابًا ، فى حين قال (فارس) فى حدّة :

— كلنا هذا الرجل أيها القائد .

ابتسم (نور) ، وقال :

— فليكن .. سنمنح صديقنا (كوماد) أكبر مفاجأة فى حياته .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— سنمنحه معركة .. وهزيمة ..

* * *

٦ — القتال ..

انطلقت حوّامة فضائية ضخمة ، تحمل شعار قوات الاحتلال ، فى سماء (القاهرة) ، حاملة على متنها عددًا هائلًا من الأسرى والمعارضين ، فى طريقها إلى صحراء (مصر) الغربية ..

وبين هؤلاء المساكين ، جلس (رمزى) والدكتور (حجازى) ، وقد تملّكهما إرهاق شديد ، وإنهاك عنيف ، وغمغم الثانى فى إعياء :

— أتظن أن (محمود) قد أدلى بشىء ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يُسبل عينيه ، متمتمًا :

— مستحيل !!

غمغم الدكتور (حجازى) :

— إنه أضعفكم بنيّة ، وقد ينهار ، و .....

قاطعه (رمزى) فى حسم :

— أقول مستحيل !.. إنه لن يخبر ذلك الوغد بشىء ، حتى لو أراد .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وتطلّع إليه فى اهتمام ، وكأنما يسعى للتيقّن من جدّيّة الحديث ، ثم عاد يتهالك ، مغمغمًا :

— أتثق فى نتيجة التنويم المغناطيسى إلى هذا الحد ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يحاول أن يبتسم :

— لا تنسَ أننى خبير فى هذا المجال .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى وهن ، وهو يقول :

— بل أنت موهوب .

ترك (رمزى) جسده يسترخى ، واستسلم لذلك الصمت ، الذى ساد المكان بضع لحظات ، ثم غمغم :

— هل تعلم إلى أين يأخذوننا ؟

ارتجف جسد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— إننى أرتعد كلما تذكّرت جواب (كوماد) ، عندما ألقيت عليه هذا السؤال .

فتح (رمزى) عينيه ، وقال فى قلق :

— ماذا قال ؟

تنهّد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى توتّر :

ـــ قال إننا سنذهب إلى الجحيم .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه فى حَيْرة ، ثم غمغم فى قلق :

ـــ أأنت واثق من أنه لم يقصد ذلك المعنى المجازى الشهير .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلا :

ـــ كلّا .. لم يكن هذا ما يقصده .. ولم يكن يقصد موتنا أيضًا .. لقد سألته عن ذلك صراحةً ، فقال إننا سنذهب إلى جحيم حقيقى .. جحيم أرضىّ ، من صنع إمبراطوره اللّعين .

هتف (رمزى) فى توتّر :

ـــ ما الذى يقصده بذلك ؟

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه للمرّة الثانية ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (رمزى) ، فى لهجة أشد توترًا :

ـــ يبدو أننا قد وصلنا إلى هدفنا ، فالحوّامة تهبط .

تطلّع الدكتور (حجازى) من نافذة الحوّامة الصغيرة ، وقال :

ـــ هذا صحيح ، إننا نقترب من رمال الصحراء .

تمتم (رمزى) فى توتّر :

ـــ هل سيُقْدِمون على دفننا أحياء ..

أجابه الدكتور (حجازى) فى خفوت :

ـــ ولِمَ يتجشّمون كل هذا العناء ، من أجل قتلنا بتلك الوسيلة الرومانسية الرقيقة ؟.. كان يمكنهم أن يقتلونا بأشعتهم الساحقة فى لحظة واحدة .

توقّف الاثنان عن تبادل الحديث ، وتوقّفت الحوّامة فى الهواء لحظات ، ثم عاودت الهبوط ..

وفى هذه المرّة لم تكتف ببلوغ حافّة الرمال ..

لقد واصلت هبوطها إلى ما أسفله ..

إلى فجوة هائلة تحت رمال الصحراء ..

وهبّ (رمزى) واقفًا ، وهو يهتف فى توتّر :

ـــ يا إلهى !!... إلى أين نمضى ؟

هتف الدكتور (حجازى) ، وهو يلتصق بالنافذة فى رُعْب :

ـــ إلى أعماق الأرض .. إننا نغوص داخل فجوة صناعية رهيبة .

ثم صاح فى هلع :

ـ انظر .. الفجوة تغلق من فوقنا .

هتف (رمزى) ، وقد بلغ توتره مبلغه :

ـ اللعنة !! إنهم سيدفنوننا فى أعماق الأرض حقًا .

ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا :

ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا يفعلون ذلك ؟

ألقى سؤاله ، ثم حدّق فى وجه الدكتور (حجازى) ، الذى انعكست عليه أضواء عجيبة ، والذى شفّ عن رُعب هائل ؛ وعيناه تتطلّعان إلى شىء ما فى أسفل ، فغمغم فى توتّر :

ـ ماذا هناك ؟

ثم أمال عينيه إلى أسفل .. إلى حيث يتطلّع الدكتور (حجازى) فى رُعب ..

وانتقل الرُّعب كله إليه ..

لقد أدرك فى تلك اللحظة أن (كوماد) لم يكن مبالغًا ..

لقد بعث بهم إلى جحيم ..

جحيم حقيقىّ ..

* * *

لم يَعْنَ (كوماد) كثيرًا بتحذير سكّان المنطقة ..

لقد بدأ عملية الهدم على الفور ، ودون سابق إنذار ..

فجأة ، انهالت أشعة رجاله الأرجوانية على المبانى ، وسحقتها سحقًا ، ونسفتها نسفًا ..

وتعالت صرخات الرُّعب والألم والفزع ..

وحار السكان ، وتخبّطوا بين أمرين خيرهما مُرّ ..

لو قبعوا فى منازلهم فستسحقهم أشعة رجال (كوماد) ..

ولو غادروها فستسحقهم أشعة عيون الحراسة ..

موت هنا ، وموت هناك ..

وتعالى صوت (كوماد) ، وهو يصرخ فى ثورة وجُنُون :

ـ اسحقوا المكان كله .. أبيدوه على بَكْرَة أبيه .. المهم أن تجدوا الطريق إلى مقرّ المقاومة السِّرّىّ .

وفجأة ، ووسط الدمار والهلاك ، ارتفع صوت ساخر يقول :

ـ لا ترهق رجالك طويلًا أيها الوغد .. إننا هنا .

استدار (كوماد) ورجاله إلى مصدر الصوت فى سرعة بالغة ..

وفى سرعة أكبر ، بدأ القتال .

انهالت الأشعة الأرجوانية كالمطر ..



واتخذ من أحد المبانى ــ التى أراد هدمها ــ مكمنًا ، وهو يهتف :
ــ لم يمكنكم إطلاق النار على مواطنيكم .. لم يمكنكم هذا ..

وكان الهدف فى هذه المرّة هو (كوماد) ورجاله ..

لم تمنحهم المفاجأة فرصة صد الهجوم ، فى الوقت المناسب ، وعندما حاولوا ، لم تكن النتائج مناسبة بالقدر الكافى ..

وصرخ (كوماد) :

ــ إنه هو .. إنه (نور) الأرضىّ .. اقتلوه .. اقتلوه ..

ولكن (نور) ورجاله كانوا يقاتلون كالأسود ..

وسقط الكثيرون من رجال (كوماد) ..

وبعض رفاق (نور) ..

وتراجع (كوماد) فى شراسة ، وهو يطلق أشعة بندقيته الأرجوانية فى عنف ..

واتخذ من أحد المبانى ــ التى أراد هدمها ــ مكمنًا ، وهو يهتف :

ــ لم يمكنكم إطلاق النار على مواطنيكم .. لم يمكنكم هذا ..

كانت البقية الباقية من رجاله تقاتل فى عنف ، ولكن المعركة لم ترُق له ، فقد بدا من الواضح أنها تميل إلى كفّة (نور) ورفاقه ..

أو أنها بدت هكذا إليه ، فى غمرة رغبته فى إحراز نصر

ساحق مباشر ، يُنهى به المعركة ، ويستعيد به مكانته المميَّزة ، فى عينى إمبراطوره ، فضغط زرَّ الإرسال فى حزامه ، وهتف فى توتُّر :

ـــ استنفار عام .. إلى كل القوات العاملة فى المنطقة رقم ثلاثة .. الرائد الأرضىّ هنا .. اتبعوا إشارتى ، واهجموا بكل قواكم .. انقضُّوا الآن .

مال أحد الرجال على أذن (نور) ، هاتفًا :

ـــ إنه يستدعى كل قواته .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ رائع .. إنه يتبع خطَّتنا بالضبط .

غمغم الرجل فى توتُّر :

ـــ لقد فقدنا ستة رجال ، ولكن أيمكن لبقيتنا التصدِّى لكل هذه القوات ؟.

ربَّت (نور) على كتفه ، قائلًا :

ـــ اطمئنّ يا رجل .. إننا لم نستغل كل قواتنا بعد .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة غامضة ، وهو يستطرد :

ـــ ما زلنا نملك سلاحًا سرِّيًّا ..

وبدت ابتسامته واثقة ..

واثقة للغاية ..

* * *

ارتسمت ابتسامة إعجاب على شفتى (فارس) ، وهو يراقب من مخبئه قوات الاحتلال ، التى راحت تغادر المنطقة رقم ثلاثة فى سرعة ، مع كل عيون الحراسة فى نفس المنطقة ، استجابة لنداء (كوماد) ، وهزَّ رأسه فى طرب ، وهو يتمتم :

ـــ عبقرىّ هو هذا القائد .

ابتسمت (نشوى) فى زهو ، وهى تقول :

ـــ كان ينبغى أن تدرك ذلك .

أومأ برأسه متمتمًا :

ـــ إننى أدركه بالفعل .

ثم أضاف فى إعجاب :

ـــ لقد نجحت خطَّته بدقة بالغة ، فلقد فقد (كوماد) اللعين سيطرته على نفسه ، عندما رأى (نور) أمامه ، وأرسل يستدعى كل قواته الخاصَّة ، فى محاولة لقلب ميزان القوى لصالحه ، والتخلُّص من زعيم المقاومة ، بعد يوم واحد من ظهوره العلنىّ ، ونسِىَ فى غمرة غضبه وحماسه أن هذا يجعل مقرَّه الخاص عاريًا .

تمتمت (نشوى) :

ـ لقد بَقِيَ جنديان لحراسته .

غمغم (فارس) فى سُخرِيَة

ـ هذا يبدو سخيفًا .

قالت محذِّرة :

ـ لا تستهن كثيرًا بقلة عدد الحرَّاس ، فربما كان المبنى مزوَّدًا بوسائل دفاعية رهيبة .

هزَّ كتفيه مغمغمًا :

ـ ربَّما .

ثم أضاف فى لهجة عابثة :

ـ ولكن مهمتنا أيضًا محدودة ، فسنقتحم المقرَّ فحسب .

أضافت فى حزم :

وسنرفع فوقه عَلَم (مصر) ، بعد أن ننتزع عَلَم الغُزاة .

عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ هذا لا يروق لى .

سألته فى دهشة :

ـ لماذا ؟

أجابها محنقًا :

ـ لأنه يحمل فكرة عنصرية أكثر من اللازم .. فلماذا عَلَم (مصر) بالذات ؟

أجابته فى صرامة :

ـ لأننا فى (مصر) .

هزَّ رأسه قائلًا :

ـ وأنا لست مصريًّا ، ولكننى أقاتل معكم .

قالت فى حزم :

ـ إننا نعتز بمصريتنا .

أجابها فى هدوء :

ـ وأنا أيضًا أعتز بانتمائى إلى المملكة العربية السعودية ، وزميلنا (عدنان) يعتز بانتمائه إلى الجمهورية السُّوريَّة ، ولكننا نعمل جميعًا الآن من أجل هدف أشمل .. إننا ندافع عن حرِّية كوكبنا كله ، ومن الضرورى أن نتجاهل الإقليميات ، و .....

قاطعته فى ضجر :

ـ حسنًا يا (فارس) .. سأعرض هذه الفكرة على والدى .

ثم أضافت فى حزم :

ـ عندما نلتقى به مرَّة ثانية .

ابتسم ابتسامة جذابة ، وهو يقول :

ـــ سنفعل بإذن الله .

ثم حمل بندقيته ، وقال :

ـــ فليبدأ الهجوم ، على بركة الله .

وبإشارة من يده انطلق الجميع نحو الهدف .

نحو مقر قيادة (كوماد) ..

وشهر حارسا المقر سلاحيهما ، ولكن الأشعة المنطلقة من بندقية (فارس) سحقتهما ، وهتف (فارس) :

ـــ لقد أزحناهما عن الطريق يا رجال .

هتفت (نشوى) :

ـــ لو أن أبي في موقعك ، ما تباهى أبدا بحادثة قتل .

صاح في حدة :

ـــ إنني أختلف معه في هذه النقطة .

فوجئ بها تتوقف بغتة ، فقال في توتر وصرامة :

ـــ إنني لم أقل ما يستوجب هذا الأسلوب الأ ......

صاحت وهي تشير إلى مقر قيادة (كوماد) :

ـــ انظر !!

التفت إلى حيث أشارت ، ورأى ...

رأى الرعب يندفع نحوه ..

على قدمين ..

* * *



٧ — السّلاح ..

انزوى (كوماد) فى ركنه الخاص ، وهو يحمل بندقية الأشعة الأرجوانية ، وراح يراقب تحرّكات (نور) النشطة السريعة ، وهو يتمتم فى حنق غاضب ، وصرامة بالغة :

— لن تفلت هذه المرّة أيها الأرضىّ .. لن أسمح لك بذلك .. ما هى إلا بضع لحظات ، وتحاصرك قواتى تمامًا .. وعندئذ تسقط مع هذا العدد الهزيل من رجالك .

كان (نور) قد فقد فى هذه اللحظة ثمانية من رجاله ، وقضى على كل رجال (كوماد) ، فاعتدل وهو يتأمّل فى ساحة المعركة فى مرارة ، مغمغمًا :

— العُنف .. لا مفرّ من العُنف .

ثم التفت إلى حيث اختبأ (كوماد) ، وصاح :

— هيّا يا قائد الأوغاد .. استسلم .. لم يعُد هناك مفرٌّ من ذلك .. إننا نحاصرك تمامًا .

صاح (كوماد) فى سُخط :

— هُراء .. أنت ستخسر أيها الأرضىّ ، على الرغم مما يبدو لك .. المعركة لم تنته بعد .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وهو يقول :

— صدقت .

وفجأة ، تعالى أزيز متصاعد ، برقت له عينا (كوماد) وهو يهتف :

— لقد وصلت القوات .. لقد بدأت المعركة الحقيقية .

استدار (نور) فى هدوء ، وتطلّع إلى القوات القادمة ، ثم ابتسم فى هدوء ، قائلًا :

— صدقت .. لقد بدأت المعركة الحقيقية .

ثم رفع بندقيته ، وصوّبها نحو أقرب الحوّامات الأرضية إليه ، وضغط زنادها الصغير ..

وبدأت المعركة ..

بدأت بحقّ ..

* * *

تراجع (فارس) فى حركة حادّة ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء الرهيب ، الذى غادر مقر قيادة (كوماد) متجهًا إليهم ، وهتفت (نشوى) فى رُعب هائل :

— ربّاه !.. ما هذا ؟!

كان شيئًا أشبه بكُرَة سوداء هائلة ، تطلُّ منها عينان ناريَّتان ، ويتوسَّطهما فم ضخم ، تبرز فيه أنياب رهيبة حادَّة ، ومن كل ركن منها يبرز ذراع أخطبوطيّ طويل ، يتراقص في الهواء ..

وكان ذلك الشيء يمشي على قدمين ..

وهتف أحد رجال (فارس) ، وهو يَشْهَرُ بندقيته :

— أيًا ما كان هذا الشيء ، فسأسحقه بأشعتي .

قالها وأطلق أشعة البندقية الأرجوانية على الشيء الأسود ..

ولم يهتز ذلك الشيء قدر أُنملة ..

كل ما حدث هو أنه قد تألّق باللون الأرجواني ، ثم تضخّم حجمه ، وعاد يحمل اللون الأسود القاتم ، قبل أن تندفع إحدى أذرعته في سرعة ، فيلتف حول الرجل ، ويحمله إليه ، و .....

ويلتهمه ..

فعل هذا في سرعة تفوق الوصف ، حتى أن الرجل المسكين لم يجد الفرصة حتى ليصرخ مستنجدًا ..

وقفز الجميع إلى الوراء ، و (نشوى) تصرخ في رُعب :

— يا للبشاعة !!

ورفع رجل آخر بندقيته ، وصوّبها نحو الشيء الأسود ، ولكن (فارس) صرخ :

— كلا .. إنه يربح بها .

هتفت (نشوى) ، وهي تتراجع في رُعب :

— هذا صحيح .. من الواضح أنه يمتصها ، ويستفيد منها على نحو ما ، حتى أن جسده ينمو بواسطتها .

عقد (فارس) حاجبيه ، وهو يقول في توتّر :

— ولكن لابدّ من وسيلة للقضاء عليه .

تمتمت (نشوى) :

— هذا يحتاج إلى بحث طويل .

هتف في حزم :

— لن نتراجع ، بعد أن بلغنا هذه النقطة .

ثم تحوّلت لهجته إلى السُّخرية بعض الشيء ، وهو يستطرد :

— والواقع أنني أفكّر في اللُّجوء إلى وسيلة بدائية قديمة .

غمغمت في دهشة ، دون أن ترفع عينيها عن ذلك الشيء الأسود ، الذي تصلّب في مكانه ، وكأنه تمثال من الآبنوس :

— بدائية ؟!.. أيّة وسيلة تعني ؟

استلّ من حزامه خنجرًا حادًّا ملتويًا ، وهو يقول في لهجة حماسية :

— هذا .

هتفت فى استنكار :

ـ خنجر ؟!.. هل ستقاتل هذا الشىء الرهيب بخنجر .

تألقت عيناه فى جذل ، وهو يقول :

ـ نعم .. ولِمَ لا ؟

ثم اندفع نحو الشىء الأسود ، صارخًا :

ـ فلتباركنى روح الأجداد .

وانقضّ على أكثر المخلوقات إثارة للرُّعب فى هذا الكوْن ..

وبخنجر قديم ..

فقط ..

* * *

تهلّلت أسارير (كوماد) ، ورقص قلبه طربًا ، عندما رأى عشر حوّامات أرضية ، تحمل مائة جندى ، وهى تنقضّ على (نور) ، وما تبقى من رجاله ، الذين يمكن عدّهم على أصابع اليد الواحدة فحسب ، ومع جنوده انقضّت عشرون عينًا حارسة قاتلة ..

ثم شعر (كوماد) بالقلق ، عندما بدا (نور) هادئًا ، على نحو يخالف منطقية الأمور ..

ولكن (نور) أطلق أشعته على أقرب الحوّامات إليه ..



وانقضّ على أكثر المخلوقات إثارة للرُّعب فى هذا الكوْن .. وبخنجر قديم .. فقط ..

وسحقها ..

وهنا عادت روح (كوماد) المعنوية ترتفع ، فقد أثار هذا التصرُّف عيون الحراسة ، فاندفعت كلها نحو (نور) ورجاله ..

وفجأة ، ظهر السلاح السِّرّى ..

انطلق فجأة طائرًا ، على نحو أشبه بالـ(سوبرمان) الأسطورى ، وانطلقت من قبضته موجة إشعاعية قوية ، سحقت عيون الحراسة ، وأحالتها إلى رماد ..

وتراجع (كوماد) فى ذُعر ..

لم يكن يتوقَّع هذا التدخل ..

ولا هذا المقاتل الأرغورانى ، الذى انضمَّ إلى (نور) ورفاقه ، فقلب كل الموازين بغتة ..

لقد كان هذا السلاح السِّرّى هو (بودون) ..

(بودون) الأرغورانى ..

ورأى (كوماد) عيون حراسته تسحق ..

ورأى جنوده يتراجعون فى ذُعر ..

واستغلالاً لعامل المفاجأة ، اندفع (بودون) يطلق أشعته الساحقة على الحوَّامات والجنود ..

وصرخ (كوماد) فى غضب هائل :

— اللعنة !!

ثم قفز من مكانه صارخًا :

— ستموت أيها الرائد الأرضىّ .. ستموت ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

وبكل مايملك من غضب وحقد ، رفع (كوماد) فُوَّهة بندقيته ، وأطلق أشعتها الساحقة نحو زعيم المقاومة ..

نحو (نور) ..

* * *

لم يصدِّق الرجال أعينهم ، عندما رأوا (فارس) ينقضّ على ذلك الشىء الأسود ، حاملاً خنجره فحسب ..

حتى الشىء نفسه أصابته الدهشة ..

هذا هو التفسير الوحيد ، لأنه لم يلتقط (فارس) بإحدى أذرعته ، قبل أن يحتل هذا الأخير ظهره ..

وصرخت (نشوى) فى هلع :

— لا .. لا يا (فارس) ..

ولكن هيهات ..

سبق السيف العزل ..

لقد أصبح (فارس) فوق الشيء ، وراح يطعنه بخنجره في قوّة ، هاتفًا :

— مُتْ أيها الوحش القذر .. مُتْ .

راح الشيء الأسود يدير ذراعيه فيما حوله في جنون ، وطعنات خنجر (فارس) تمزّق لحمه ، وتسيل لها دماؤه الخضراء ..

ونجح الخنجر فيما فشلت فيه الأشعة الساحقة ..

ليس الخنجر وحده ..

لقد أضيفت إليه شجاعة (فارس) ..

وأمام العيون المنفعلة الزائغة ، هَوَى الشيء الأسود ..

هَوَى وسط بركة من دماء خضراء لزجة ..

ولوهلة ، ساد صمت رهيب ..

ولبضع لحظات ، حدّق الجميع في وجه (فارس) ، ثم غمغمت (نشوى) في انبهار :

— لقد فعلتها !!.. يا إلهي !.. لم أتصوّر أبدًا أنك ستنجح !

ابتسم وهو يمسح الدماء الخضراء عن نصل خنجره ، مغمغمًا :

— ولكنني فعلت .. أليس كذلك ؟

هتفت في حماس :

— ولقد كنت رائعًا .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— سأذكر هذه العبارة إلى الأبد .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغمغم :

— افعل ما بدا لك .

ثم أضافت في حِدّة مفاجئة ، بدا وكأنها تخفي خجلها :

— ولكن لا تنسَ مهمّتنا الأساسية .

تطلّع إلى ملامحها الجميلة في إعجاب ، وهو يغمغم :

— ومَنْ ينساها ؟

ثم اعتدل ، وأضاف في حزم :

— هيّا يا جميلتي .. سنرفع علم دولتك فوق هذا المقر .. ولكنني أحذّرك .. إنها آخر مرّة أرفع فيها علمًا مخالفًا .. في المرّة القادمة إما أن أرفع العلم السعودي ، أو علمًا دوليًا .

ابتسمت في حياء ، مغمغمة :

— لك هذا .

اندفع الاثنان إلى داخل مقر القيادة ، وهتف (فارس) ، وهو يلوّح بالعَلَم :

— سيستيقظ العالم فى الصباح ، ليعلم أن المقاومة قد حازت نصرًا جديدًا .

أضافت هي فى فخر :

— وأن الأرض لم تستسلم بعد ، ولم .....

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها فى ذهول ، وهى تهتف :

— يا إلهى !!.. انظر يا (فارس) .

التفت إلى حيث أشارت ، وعقد حاجبيه فى توتر ، وهو يتطلع إلى وجه بشرى ، بادلهما نظرة الدهشة ، وسمع (نشوى) تستطرد فى فرحة غامرة ، اختلطت بلهفتها ودهشتها :

— إنه (محمود) .. يا إلهى !!.. إنه هو .

هتف (محمود) من خلف قضبان سجنه :

— مستحيل !.. أأنت (نشوى) حقًا ، أم إنه حُلمٌ جميل ؟

صاحت (نشوى) فى سعادة ، وهى تندفع نحوه :

— بل أنا هى يا (محمود) .. أأنت حىّ ؟.. هل نجوْت ؟

هتف (محمود) فى حرارة :

— كلنا نجونا .. أنا و (رمزى) والدكتور (حجازى) .. لقد عذّبونا طويلًا ، ولكنهم لم يقتلوا أحدًا منّا .

صاحت (نشوى) فى لهفة :

— (رمزى) حىّ ؟!.. (رمزى) ؟!.. أأنت واثق ؟

تردّد لحظة ، ثم أجاب :

— لست أدرى .. ربّما كان كذلك .. لست أدرى .

صاحت (نشوى) فى عصبيّة :

— ماذا تعنى ؟.. ألم تقل إنهم لم يقتلوا أحدًا منّا ؟

قال (محمود) فى توتّر :

— كان هذا حتى وصلنا إلى هذا المكان ، ولكننى أجهل ما فعله بهم ذلك الوغد (كوماد) بعدها .. لقد .....

بتر عبارته ، ليهتف فى حِدّة :

— ألا تخرجوننى من سجنى أوّلًا ؟

عقد (فارس) حاجبيه ، وهو يقول :

— أنت على حقّ .

ثم جذب القضبان فى قوة ، فصاح به (محمود) فى رُعب :

— لا .. ليس هكذا .

تراجع (فارس) مغمغمًا :

— لماذا ؟

أشار (محمود) إلى السقف ، وهو يهتف فى هلع :

— لقد أشعلت جهازًا أمنيًا خاصًا ، يعمل فى حالة محاولة استخدام القوة لانتزاع القضبان .

رفع (فارس) عينيه إلى سقف الزنزانة ، وهو يقول فى توتر :

— وما الذى سيفعله هذا الجهاز الأمنىّ الخاصّ ؟

شحَبَ وجه (محمود) فى شدَّة ، وهو يجيب :

— سيطلق حزمة ضخمة من الأشعة الأرجوانية من السقف .. سيسحقنى سحقًا ، بعد ثلاثين ثانية فقط من الآن .. الوداع يا رفاق .. الوداع .

* * *



٨ — التضحية ..

لم يكن من الممكن أن يخطئ (كوماد) هدفه ..

إنه لم يحصل على منصب قائد جيوش (جلوريال) عبثًا ..

إنه مقاتل عنيف ..

ورامٍ بارع للغاية ..

لقد انطلقت أشعة بندقيته الأرجوانية نحو صدر (نور) تمامًا ..

ولكنها لم تصل إليه ..

صدَّها حاجز (بودون) الخفىّ ..

لقد رأى (بودون) ماحدث ، فأطلق حاجزه الخفىّ الأخير نحو (نور) ، وصدَّ عنه الأشعة الساحقة ..

ولكن هذه المبادرة النبيلة كلَّفته درعه الواقى ..

لم يكد رجال (كوماد) يدركون أن (بودون) قد أدار وجهه بعيدًا عنهم ، حتى أطلقوا على أشعة بنادقهم كلها فى آن واحد ..

ولم يحتمل درع (بودون) الواقى كل هذا القدر من الطاقة ..

وانفجر ..

لم يقتل (بودون) ، ولكنه جعله عاريًا فى مواجهة أعدائه ..

وصرخ (نور) :

ـــ ابتعد يا (بودون) .

وأطلق أشعة بندقيته نحو حوّامة ثانية ، وسحقها سحقًا برجالها ، وهتف (بودون) نفسه فى غضب :

ـــ اللّعنة !

ألقاها بلغة كوكبه بالطبع ، ثم أطلق أشعته على بندقية (كوماد) ، فدمّرها ، والتفت إلى الحوّامات ، التى تحمل رجال هذا الأخير ، وسحق ثلاثًا منها بأشعته فى لحظات ..

ولكن انتصاره لم يكتمل ..

لقد أصابه جانبٌ ضئيلٌ للغاية من أحد خيوط الأشعة الأرجوانية ..

مسّه مسًّا ، فألقاه جانبًا فى عنف ..

وأطلق (نور) ، ومن بقى من رجاله أشعة بنادقهم ..

وراح (كوماد) يصرخ :

ـــ اقتلوا القائد الأرضىّ يا رجال .. اقتلوه .

لم يكن رجاله بحاجة إلى هذا الأمر ..

كانوا يحاولون قتل (نور) بالفعل ..

ولكنه كان أشبه بالظل ، ما إن تتصوَّر أنك قد بلغته ، حتى يفرّ منك فى مهارة ..

إنه دائمًا أمامك ، ودائمًا عسير المنال ..

وبذل رجال (نور) الخمسة الباقون جُلّ جهدهم لحمايته ، وتعاونت البنادق الست على سحق رجال (كوماد) ..

ولدهشة (كوماد) ومرارته ، خسر رجاله المعركة ..

لا أحد ، حتى هو نفسه ، يدرى كيف ..

ربما أنها صلابة (نور) ورجاله ..

وربما أنه تدخّل (بودون) ..

أو أنه عامل آخر ..

عامل إلهىّ ..

وفجأة ، ودون أن يتوقّع (كوماد) أبدًا ، فوجئ بفوّهات البنادق الثلاث الباقية تتجه إلى رأسه ، فتراجع مغمغمًا فى ذهول :

ـــ مستحيل !!

تجاهله (نور) تمامًا ، واندفع نحو (بودون) ، هاتفًا :

— هل أصابك مكروه يا صديقى ؟

أجابه (بودون) فى هدوء وجدّية ، ودون أن يبتسم كعادته :

— ليس كثيرًا يا صديقى الأرضىّ .. إننى فقط ......

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

— أموت .

هتف (نور) فى لوْعة :

— ربّما لا يا صديقى .. ربما لا .

هزّ (بودون) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

— كلّا يا صديقى الأرضىّ .. نحن فى (أرغوران) نختلف عنكم .. إننا نعلم دوْمًا أن النهاية قد حانت .. إنه أمر غريزى .. لقد حان موعد رحيلى ، وهذا لا يحزننى .

تمتم (نور) فى ألم :

— ولكنه يحزننى أنا .

أجابه فى هدوء :

— خطأ يا صديقى .. إنها حرب .. وفى الحروب يقضى الآلاف نحبهم .. وأنا لم أمُتْ هباءً .. لقد فعلتها من أجل الحرّية .

ثم التقط من حزامه مكعبًا صغيرًا ، وهو يستطرد فى ضعف :

— ولكننى لم أقتل (كوماد) .. لقد حافظت عليه حيًّا ، لتسير خطّتك على النسق الذى وضعته .. أليس كذلك ؟

تمتم (نور) ، والدمع يترقرق فى عينيه :

— بلى .. ولكنه يستحق القتل .

أمسك (بودون) كفّه فى قوّة ، قائلًا :

— لا يا صديقى .. لا تجعل الرغبة فى الانتقام تبعدك عن خطّتك الأصلية .. إنها خطّة عبقرية ، واصل العمل بها يا صديقى ، وسيتحرّر كوكبك يومًا تحت قيادتك ، ولكن عِدنى أنك لن تتخلّى عن كوكبى عندئذ .

أجابه (نور) فى ألم :

— لن أفعل يا صديقى .. أقسم لك إننى لن أفعل .. هذا لو ظللت حيًّا حتى ذلك الحين .

ولأوّل مرّة فى حياته ، ابتسم (بودون) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— ستبقى يا صديقى .. أعلم أنك ستبقى .

ثم ناوله المكعب الصغير ، مستطردًا فى جدّية :

— خذ هذا الشيء ..
تناول (نور) المكعب ، وهو يسأله :
— ماهذا ؟
أجابه (بودون) :
— إنها وسيلة اتصال بسفينتي الفضائية ، التي أخفيتها في مكان ما في كوكبك .. إنها تحوي جهازًا خاصًا ، أريد منك أن تستخدمه ، إذا ماطال أمر الاحتلال .
سأله (نور) في حَيْرة :
— لماذا ؟
أجابه في تهالك :
— ستعلم أيها الصديق .. ستعلم لماذا ..
ثم أسبل جفنيه ، وهو يستطرد في صوت شاحب :
— أتريد نصيحتي ؟
تمتم (نور) في حزن :
— بالتأكيد .
ابتسم (بودون) ابتسامة شاحبة أخيرة ، وهو يقول :
— ابحث عن (س ١٨) .. إنه وسيلتكم للخلاص(*).

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

غمغم (نور) :
— (س ١٨) ؟!.. ولكننا فقدناه يا صديقي .. لقد غرق في أعماق الأطلنطي(*) ، و .....
لم يتم عبارته ..
لم يفعل ، لأنه أدرك أن (بودون) لم يعُد يسمعه ..
لقد مات ..
مات وعلى شفتيه ابتسامة ..
يالسُخرية القدر !!
إن (بودون) لم يبتسم في حياته أبدًا ..
وابتسم في موته ..
وفي حزن يكفي لملء قلوب أهل الأرض جميعًا ، تمتم (نور) :
— وداعًا يا صديقي .. وداعًا .
وصمت لحظة ، ليبتلع غُصّة في حلقه ، قبل أن يستطرد :
— إنها الحرب .
وفي أعماقه هتف قلب حزين :
— نعم .. إنها الحرب ..

* * *

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣)

اتسعت عينا (فارس) فى هلع ، وهو يرفع عينيه إلى سقف زنزانة (محمود) ، هاتفًا :

ــ ثلاثون ثانية ؟!

وهتفت (نشوى) فى ارتياع :

ــ يا إلهى !!.. ماذا فعلنا ؟

أجابها (فارس) ، وهو يعقد حاجبيه فى حِدَّة :

ــ لم نفعل شيئًا .

ثم أعاد خنجره إلى غمده ، واختطف بندقيتها الليزرية ، مستطردًا فى حزم :

ــ والوقت لم يفُت بعد .

وصاح بـ (محمود) :

ــ ابتعد .

ابتعد (محمود) ، وهو يهتف :

ــ ماذا ستفعل ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت أشعة بندقية (فارس) تسحق أحد قضبان السجن ، وهتف (محمود) :

ــ يا إلهى !!

امتدَّت يد (فارس) عبْر الفجوة ، وأمسكت سترة (محمود) ، وهو يقول :

ــ من حُسن الحظ أنك نحيل الجسد .

ثم جذب (محمود) إليه فى قوة ، عبْر الفجوة ، وانتزعه من زنزانته ، فى نفس اللحظة التى تألَّق فيها سقف الزنزانة ، فهتف (فارس) :

ــ ابتعدى .

ودفع (نشوى) جانبًا فى خشونة ، ثم قفز مع (محمود) أرضًا ، وانطلقت حزمة الأشعة الأرجوانية تسحق أرضية الزنزانة ، فهتف (محمود) :

ــ يا إلهى !!.. كان من الممكن أن أكون هناك .

نهض (فارس) فى سرعة ، وهو يقول :

ــ يمكنك أن تشكر الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأنك لم تكن هناك .

أجابه (محمود) فى امتنان :

ــ وأن أشكرك أيضًا .

لوَّح (فارس) بكفِّه ، قائلًا :

ــ دَعْ هذا لما بعد .

ثم التفت إلى (نشوى) ، التى تتطلَّع إليه فى انبهار ، مستطردًا :



ثم قفز مع (محمود) أرضًا ، وانطلقت حزمة الأشعة الأرجوانية تسحق أرضية الزنزانة ..

ـــ لا داعى لكل هذا الانبهار .. إنه عمل عادى .

أحنقها أسلوبه ، فعقدت حاجبيها ، قائلة فى حِدّة :

ـــ ومن قال لك إننى .....؟

قاطعها فى حزم :

ـــ لا عليك .. فلنتم مهمَّتنا أوَّلًا .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، وقد بدا لها إيقاعه أسرع من المعتاد ، ثم لم تلبث أن شاركته فى ذلك الإيقاع السريع ، وهى تعقد حاجبيها ، قائلة :

ـــ حسنًا أيها الزعيم .. ماذا تريد ؟

هتف فى توتُّر :

ـــ أن يبدأ الجزء التالى من الخطَّة .. أين مسئولة الإعلام ؟

أتاه صوت (مشيرة محفوظ) ، وهى تقول فى حِدّة :

ـــ هأنذا .

التفت إليها ، يسألها فى توتُّر :

ـــ هل أعددت كل شىء ؟

أجابته (مشيرة) فى حزم :

ـــ حسبما استطعت .. لقد عاونتنى السيِّدة (سلوى) ، وأوصلنا جهاز البث الرئيسى خاصة ، و .....

قاطعها فى حِدَّة :

ـــ حسنًا .. دعينا من التفاصيل ، فلن أستوعب الكثير منها .. المهم هو النتائج .. ما هى النتائج المتوقَّعة ؟

عقدت حاجبيها فى حَنَق ، وهى تقول :

ـــ سيبدأ البث آنيًا ، فى العاشرة صباحًا ، وسيشاهد العالم كله علمنا ، وهو يرفرف فوق مقر قيادة (كوماد) ، القائد الأعلى لجيوش الاحتلال .

قال فى توتُّر :

ـــ حسنًا .. هيَّا .. أوصل جهاز البثّ الرئيسى بشبكة الاتصال هنا .

قالت (مشيرة) فى حِدَّة :

ـــ قُل لى يا رجل : ألم تلحظ أنك تتقمَّص دور القائد بأسلوب فجّ ، أشبه بتمثيلية هزلية ، فى مدرسة ابتدائية قديمة ؟

رمقها بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـــ كلَّا .. لم ألحظ ذلك .

قالت فى غضب :

ـــ فلنبدأ الآن إذن .

أجابها فى برود :

ـــ لا وقت لذلك .

أطلقت هتافًا ساخطًا ، ثم اتجهت لتتم الجزء الخاص بها من المهمَّة ، وظهرت من خلفها (سلوى) ، وهى تبتسم قائلة :

ـــ قُل لى حقًا يا (فارس) .. لماذا تتصرَّف هكذا ؟

اختلس النظر إلى (مشيرة) ، ليتأكَّد من أنها لا تسمعه ، ثم أجاب فى صوت خافت :

ـــ لأننى خائف .

حدَّقت (سلوى) فى وجهه بدهشة ، فى حين هتفت (نشوى) :

ـــ خائف ؟!.. أنت ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـــ نعم .. لقد سارت المهمَّة على ما يرام ، حتى هذه اللحظة ، وهذا فى حدّ ذاته يقلقنى .

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وهى تتمتم :

ـــ أنت تشبهنى فى هذه النقطة .

ثم تلفَّتت حولها ، مستطردة :

ـــ إننى أتمنَّى مغادرة هذا المكان بأقصى سرعة ..

أجابها فى توتُّر :

— سنفعل يا سيّدى .. سنفعل بإذن الله ..
ولكنه فى أعماقه لم يكن واثقًا من ذلك ..
لم يكن واثقًا أبدًا ..

* * *



٩ـ الرَّاية ..

تطلّع (نور) إلى جثة (بودون) لحظات ، ثم التفت إلى (كوماد) ، الذى بدا شديد الغضب والغيظ ، وسط الرجال الثلاثة الباقين ، من رجال (نور) ، وإن لم يمنعه هذا من أن يقول لبطلنا فى حِدّة :

— والآن ماذا ستفعل أيها الرائد .. هل ستقتلنى ؟

أجابه (نور) فى حزم :

— كنت أتمنّى ذلك .

ثم أضاف فى حنق :

— ولكننى لن أفعل .

أدهش الجواب (كوماد) حقًا ، فشريعته لم تكن تدرك مثل هذا النوع من التسامح ، ممّا جعله يغمغم فى توتّر :

— هل ستحاول انتزاع بعض المعلومات منّى أوّلًا ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— ولا هذا أيضًا .

هتف (كوماد) فى حِدّة :

ـــ ماذا ستفعل بي إذن ؟

بلغت دهشته ذروتها ، عندما أجابه (نور) :

ـــ سأطلق سراحك .

حدّق (كوماد) في وجهه بذهول حقيقيّ ، قبل أن يغمغم :

ـــ تطلق سراحي ؟!

أجابه (نور) في هدوء :

ـــ نعم .. سأطلق سراحك يا (كوماد) ؛ لأن هذا سيكون أبشع عقاب تعرّض له . يكفي أننا قد خدعناك ، وأوهمناك بأن مخبأنا السرّيّ على مقربة من هنا ، ودفعناك إلى استدعاء كل حرّاسك ، وأبدناهم عن آخرهم .

شعر (كوماد) بمرارة حقيقية ، وهو يهتف :

ـــ اللّعنة !!

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـــ ولكننا سنقيّدك برتاج إليكتروني خاصّ أيها الوغد ، سيحلّ من تلقاء نفسه في العاشرة والنصف صباحًا .

تطلّع (كوماد) إلى وجهه في توتّر ، وهو يقول :

ـــ ولماذا العاشرة والنصف ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ ستدرك حينذاك .

ثم أشار إلى أحد رجاله ، فأحاط معصم (كوماد) الأيمن بذلك الرّتاج الإليكتروني الموقوت ، وقيّد الطرف الآخر للرّتاج إلى جزء بارز ، في حائط المبنى المجاور ، وقال (نور) :

ـــ هيّا يا رجال .. هكذا تنتهي مهمّتنا .

وابتعد مع الرجال الثلاثة ، وهو يستطرد في حزن :

ـــ سنحمل جثث قتلانا بالطبع .

صاح به (كوماد) في حنق :

ـــ اسمع أيها الرائد الأرضيّ .

التفت إليه (نور) ، وهو يقول في هدوء :

ـــ ماذا تريد أيها الوغد ؟

صاح به (كوماد) في توتّر بالغ :

ـــ لقد أخطأت بتركي على قيد الحياة ، فهذا سيضاعف من كراهيتي لك ، وغضبي عليك ، وعندما نلتقي في المرّة القادمة سأقتلك .

تطلّع إليه (نور) في هدوء ، وقال :

ـــ لن يغيّر هذا من الأمر شيئًا .

صرخ (كوماد) :

ـــ سأقتلك .. سأقتلك .

ولكن (نور) تجاهله تمامًا ، وهو ينحني ليحمل جثة (بودون) ، ثم يبتعد ، ويبتلعه الظلام في بطء ..

* * *

« لماذا ؟!!.. » ..

هتف (فارس) في ضيق ، عندما التقى بـ (نور) في المقر السرّي ، واستطرد في مرارة :

ـــ لماذا فعلنا كل هذا ؟. لقد فقدنا أكثر من نصفنا ، لنرفع علم دولتك فوق مقر قيادة (كوماد) .. وأنت نجحت في أسر هذا الحقير ، ولكنك لم تلجأ إلى التخلّص منه ، فهل يستحق ما فعلناه أرواح رفاقنا ؟

أطرق (نور) برأسه ، وأطلّت من عينيه نظرة حزن ، وهو يقول :

ـــ نعم .. إنه يستحق .

صاح (فارس) في مرارة :

ـــ كيف ؟

تنهّد (نور) في عمق ، وهو يقول :

ـــ عندما تشاهد ما سيحدث في الصباح ، ستدرك أنه يستحق .

لوّح (فارس) بذراعه ، هاتفًا :

ـــ أشك في ذلك .. كان ينبغي أن نقتل (كوماد) .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ ربّما .. ولكن من الخطإ أن تنظر إلى مثل هذه الأمور بمنظور شخصيّ .

هتف (فارس) :

ـــ عجبًا !!.. ألم تفعل أنت ؟.

رفع (نور) حاجبيه ، مغمغمًا في دهشة :

ـــ أنا ؟

صاح (فارس) :

ـــ نعم .. عندما استخدمت عَلَم دولتك .

ابتسم (نور) وهو يغمغم :

ـــ لقد أدركت ما تقصده .. في المرّة القادمة سنستخدم علمًا دوليًا ، يحمل صورة كوكب الأرض فحسب .. هل يريحك ذلك ؟

ارتبك (فارس) ، وهو يتمتم :

— لم أقصد هذا تمامًا .

ابتسم (نور) متمتمًا :

— لا عليك .. إننى أعلم أنك لم تقصده .

ثم التفت إلى (محمود) ، يسأله فى اهتمام :

— المهم الآن هو أين ذهب (رمزى) والدكتور (حجازى) يا (محمود) ؟

تمتم (محمود) :

— لست أدرى فى الواقع يا (نور) .. كل ما أعلمه هو أنهما قد ذهبا ، مع كل الأسرى ، إلى مكان يُطلق عليه (كوماد) اسم الجحيم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم :

— الجحيم ؟!.. ياله من اسم !!.. ألم تعلم أين هو بالضبط ؟

هزّ رأسه نفيًا ، فتنهّد (نور) ، واعتدل مغمغمًا :

— تُرى أين هذا الجحيم الملعون ؟.. أهو سِرُّ اختفاء الرجال المستمر ؟.. أهو .....

قاطعته (نشوى) ، وهى تهتف فى لهفة :

— لقد حانت اللحظة يا أبى .

التفت إليها فى دهشة :

أشارت إلى ساعة معصمها ، هاتفة فى حماس :

— إنها العاشرة .. لحظة البثّ .

أسرع كل من بَقِىَ حيًا يراقب شاشة الراصد ، التى ظهرت عليها صورة (مشيرة) ، وهى تقول فى توتر واضح :

— مرحبًا أيها السادة .. اليوم يبدأ بث برامجنا بخبر واحد : لقد حقَّقت المقاومة نصرًا جديدًا فجر اليوم ، وهزمت القائد (كوماد) ورجاله .

انتقل المشهد فجأة إلى صورة مقر قيادة (كوماد) ، والعلم المصرى يرفرف فوقه ..

وفى كل أنحاء العالم ، خفقت القلوب إكبارًا وسعادة ..

وفى مركز المراقبة الإمبراطورى ، اتسعت عينا الإمبراطور (آغرو) ، وهو يهبّ من فوق عرشه البلّورى ، هاتفًا فى غضب وثورة هائلين :

— ماذا ؟!.. اللعنة !!.. كيف فعلوا هذا ؟!.. أين كان ذلك الحقير (كوماد) ؟

هتف الحكيم (جلاكس) فى توتر :

— مُرْ رجالنا بإيقاف البث على الفور يا مولاى ، فسيؤدى هذا الإرسال إلى اضطرابات عنيفة .

صاح الإمبراطور فى ثورة :
ـ سأفعل أيها العجوز .. سأفعل .
وتقاطر حنق الدنيا كلها مع حروف كلماته ، وهو يتابع :
ـ وسأقتصّ من هذا الحقير (كوماد) فيما بعد .. أقسم أن أفعل .
أما فى مقر المقاومة السرىّ ، فقد تمتم (فارس) فى حماس :
ـ إنه يستحق .
سألته (نشوى) :
ـ ماذا تقول ؟
هتف فى حماس :
ـ أقول إن هذا يستحق .. لم يعُد ذلك العَلَم مصريًا فى نظرى .. لقد صار عالميًا .. أىّ عَلَم كان يكفى لتأكيد الفكرة .. فكرة المقاومة .
تهلّلت أساريرها ، وهو يهتف :
ـ ستبقى المقاومة ، ولن تستسلم الأرض أبدًا .. إن هذا العَلَم يعْنِى لى الآن رمزًا للصراع .
وامتلأت نبراته بالحزم والحماس ، وهو يستطرد :
ـ والتحدّى ..

نعم ..
كانت تلك المرحلة قد حانت ، وفرضت نفسها على الأحداث ..
مرحلة الصِّراع ..
والتحدّى ..

* * *

[انتهى الجزء الثالث بحمد الله ، ويليه الجزء الرابع]

(التحدّى)